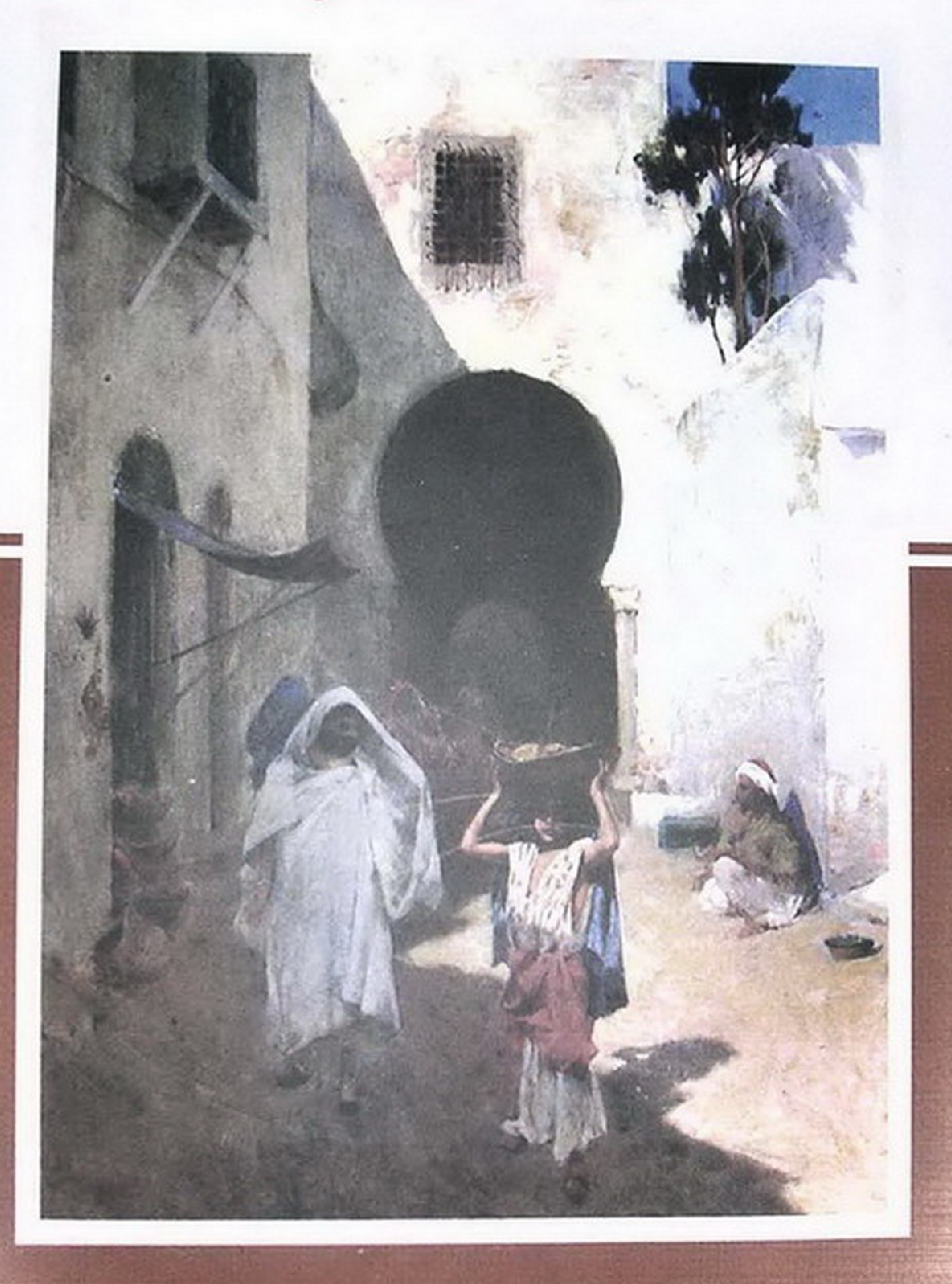
بيوتات طنجة في القرن 18 من خلال حوالة أحباسها

دراسة وثائقية



عبد الله الداودي

هذا الكتاب

هو بداية مشروع عمل كبير يسعى للإحاطة بتاريخ طنجة، والتعريف بالفترات الغامضة من محطاته الكبرى، معتمدا في ذلك على الإمكانات المتواضعة، ومتجاوزا كل العراقيل والمعيقات التي قد تواجه باحثا في هذا الميدان، مسلحا بمنهج علمي تاريخي من أهم سماته الحياد والموضوعية.

هذا الكتاب هو تركيب خلاصات مقالات وأبحاث شخصية ارتأيت تعميما للفائدة نشره، للتعبير من خلاله عن فكرة محورية مفادها أن؛ موضوع بيوتات طنجة خلال القرن الثامن عشر، يبرز مدى مساهمة المرأة المغربية - الطنجية نموذجا - في البناء الحضاري وخوضها رهان التنمية وإعمار المدينة التي تحررت بعد أكثر من قرنين من الاحتلال الأجنبي. هذا الصرح الحضاري الطنجي، ساهم في تشكيل معالمه نساء ورجال هذه المدينة، كما ساهم في بنائه أفراد من تشكيلات قبلية وعرقية ودينية مختلفة، ومن أصول متباينة على أرض الغرب الإسلامي، تزاوجت وتعايشت وأفرزت نسيجا اجتماعيا لا يستقيم انتماؤه إلا لهذا الوطن الغالي، بل يؤسس لبناء مجتمع حديث مفعم بروح مواطنة عالية، يسوده

بيوتات
طنجة في القرن 18
من خلال حوالة أحباسها

(دراسة وثائقية)

الكتاب : بيوتات طنجة

الكاتب : عبد الله بن إدريس الداودي

الطبعة الأولى : ماي 2013

الغلاف : ألطوبريس

رقم الإيداع القانوني : 2013 MO 1907

ردمك : 978-9954-32-372-4

مطبعة ألطوبريس للطباعة والنشر
شارع أبي جرير الطبري رقم 58 ـــ طنجة
هاتف: 74 27 94 39 05 / فاكس : 74 27 94 39 05
البريد الالكتروني : altopress@gmail.com

إهـــداء

إلـــى :

- والدتـــي، زوجتـــي، بناتـــي

إلى كل النســـاء العفيفـــات

أهدي ثواب هذا العمل المتواضع

عبد الله بن إدريس الداود

شهد المجتمع الطنجي خلال القرن الثامن عشر، تحولات عميقة، شكلت قاعدة قوية، ساهمت في تعزيز روح التآزر والتكافل بين مختلف مكونات هذا المجتمع، وفي بناء لُحمة اجتماعية متينة، جعلته كالبنيان المرصوص، تشد بعضه بعضا.

عكست وثائق الحوالة الحبسية، طبيعة هذه التحولات ووفّرت مادة خصبة لتناول موضوع بيوتات طنجة، لما تطرقت إليه من معطيات دقيقة وموثّقة، وذات مصداقية تاريخية، فنظام الوقف نظام حضاري إسلامي، عبّر من خلاله الإنسان الطنجي عن الإحساس بالحاجات الجماعية، معتمدا على عدة وسائل، وجهود جبارة تستحق كل التقدير والاحترام، عبْر إحياء ذكرى هذه البيوتات وأعمال تلك العفيفات وجهود أولئك الأتقياء الذين كانوا يتقربون إلى الله بكل ما يملكون، ولو كانت بأنفسهم خصاصة.

فنظام الأحباس قام عبر التاريخ بدور بارز في تطوير المجتمعات الإسلامية عامة، وشملت تنظيماته وأوقافه في طنجة، معظم أوجه الحياة العامة من تحبيس على ترميم أسوار المدينة لتحقيق الأمن العسكري، وعلى المساجد

ومرافقها والمكتبات العلمية، لدوام منفعتها، وتحبيس الأراضي واستصلاحها لتحقيق الأمن الغذائي...

ووعيا منا بأهمية الموضوع الذي نحن بصدد تناوله في إطار ضرورة تصالح مجتمعاتنا الحديثة بكل فعالياتها، مع تراثها الحضاري كأساس لبناء مستقبل أكثر أمنا واستقرارا، تتحقق فيه معالم الاندماج والوحدة بين كل العناصر البشرية المكونة للمجتمع المغربي، في عالم أصبحت تتنامى فيه دعوات الإقليمية والعرقية، بشكل يثير الكثير من الاستغراب، تنم عن جهل بحقيقة اندماج مكونات المجتمع المغربي عبر التاريخ، لا نجد لها تفسيرا، سوى ضعف مساهمة نخبنا الفكرية والثقافية، في إحياء التجارب والمحطات المشرقة من هذا التراث الماجد والانبهار الزائد ببعض الدعوات المغرضة التي روجها الفكر الاستعماري لغرض في مخططاته.

يبرز موضوع بيوتات طنجة خلال القرن الثامن عشر، اعتمادا على الوثائق، مدى مساهمة المرأة المغربية ــ الطنجية نموذجا ــ في البناء الحضاري وخوضها رهان التنمية وإعمار المدينة التي تحررت بعد أكثر من قرنين من الاحتلال الأجنبي، وكذا مساهمة أفراد تشكيلات قبلية وعرقية ودينية بالمدينة، بالتعايش والتكافل والتزاوج، في بناء نسيج ديمغرافي يستحيل معه

الرجوع إلى الوراء، بل يؤسس لبناء مجتمع حديث يسوده الوئام والوحدة والاندماج.

إن تناول هذا الموضوع اعتمادا على وثائق ذات مصداقية علمية من حيث التوثيق والتسجيل على يد عدول وقضاة، أعطاه طابعا علميا، ويفتح بابا جديدا لإثارة إشكالات لازالت في حاجة إلى المزيد من البحث والتدقيق من طرف المختصين، لاكتشاف كنوز وروائع حضارتنا المغربية الإسلامية، واستثمارها في إعادة بناء الذات والخروج من دوامة التخلف، حاضرا ومستقبلا، وكذا التخلص من كابوس التعصب العرقي، الذي أصبحت معالمه تتشكل على صفحات بعض الجرائد الإلكترونية المحلية وفي الخطاب اليومي المعتمد في الشارع العام.

إن هذا الواقع الثقافي، وهذه المفارقة الغريبة المتمثلة في عزوف مثقفينا عن دراسة التراث، وارتباط أغلبهم، لتحقيق الشهرة، بما هو طابو أو فولكلوري يثير فضول الغرب، هو الذي يدعونا بإلحاح، إلى القول بضرورة تصالحنا..! مع ماضينا وتراثنا، وإعادة الثقة فيه، وإحياءه، عوض أن ننتظر هذا المستشرق أو ذاك[1] لينبهنا في إحدى دراساته، إلى القول بأن النوازل

1- أول من اهتم بكتب النوازل كمصدر للتاريخ هم المستشرقون، فقد قال ليفي بروفنسال مطلع القرن العشرين في كتابه " تاريخ اسبانيا الإسلامية " بأن الجرد المنهجي لكتب النوازل

الفقهية أو الحوالات الحبسية مثلا، مهمة لدراسة التاريخ الاجتماعي للعالم الإسلامي، هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن واقع البحث العلمي الوطني الجاد في مجال كشف النقاب عن الصفحات المشرقة من تراثنا، لا زال يحتاج إلى المزيد من الجهد والعطاء، فتزداد قناعتنا بأننا في أمس الحاجة إلى مؤسسات وفرق بحث تصب كل اهتمامها على مختلف المظاهر الحضارية المشرقة في تاريخنا العريق.

وانطلاقا من أهمية موضوع بحثنا " بيوتات طنجة في القرن 18 من خلال حوالة أحباسها (دراسة وثائقية)" فإن المرأة الطنجية، كان لها وضع خاص خلال القرن الثامن عشر عكس الصورة القاتمة التي قدمها لنا الرحالة الأوربيون، ودهاقنة الفكر الاستعماري، عن المرأة المغربية المسلمة خلال الفترة المدروسة، صورة لا تليق بجداتنا المؤمنات العفيفات الطاهرات، بل هي تزوير للتاريخ، كما تسجل الوثائق الحبسية تفاصيل أحداثه.

الفقهية سيساعد كثيرا على فهم تاريخ المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ، ثم اعتمدها اميل عمار في مجموعة الأرشيف المغربي، ثم المستشرق الكبير برانشفيك في مجلة الدراسات الإسلامية الذي اعتمد على النوازل كمادة تاريخية واللائحة في مجال اعتماد المستشرقين على النوازل طويلة.

وقد تناولنا هذا الموضوع انطلاقا من ثلاث محاور كبرى: اهتم الأول بالناحية المصدرية الوثائقية، والثاني بالسياق التاريخي، والثالث بالجوانب الاجتماعية.

المحور المصدري أو الوثائقي:

يركز هذا المحور على " أهمية الحـــوالات الحبسية في كتابة التاريخ المحلي " و يقوم على أساس مجموعة من التساؤلات:

- ما هو مفهوم الحوالات الحبسية؟
- هل يمكن اعتبارها وثيقة تاريخية؟
- ما العلاقة بين رهائد الحوالات الحبسية والتاريخ؟
- ماذا يمكن أن يستفيده المؤرخ من هذه الوثائق بكل أصنافها؟

المحور التاريخي:

يركز هذا المحور على "السياق التاريخي لتشكل النسيج الديمغرافي لمدينة طنجة" ومن أهم التساؤلات التي فرضت نفسها على هذا المحور:

ما هي أبرز الأحداث التاريخية المؤسسة لتشكل النسيج الديمغرافي الطنجي؟

- كيف أثرت سياسة القواد المحليين والمخزن في الاستقرار الاجتماعي بطنجة خلال القرن الثامن عشر؟

المحور الاجتماعي:

يركز هذا المحور على موضوعين أساسيين: " نساء طنجة خلال القرن الثامن عشر الميلادي مساهمات في الوقف والتنمية والإعمار " و" بيوتات طنجة" حاولنا توضيح معالمه من خلال الجواب على التساؤلات التالية:

- إلى أي حد كان حضور المرأة في مضمون وثائق الحوالة الحبسية قويا؟
- ما هو سر اهتمام المرأة الطنجية بأعمال الوقف خلال هذه المرحلة؟
- ما هي طبيعة و نوعية أوقاف نساء طنجة؟
- ما هي أبرز البيوت التي ورد ذكرها في وثائق الحوالة الحبسية لطنجة؟
- وكيف ساهمت هذه الأخيرة في تشكيل اندماج المجتمع الطنجي؟

فقد شكلت مجموع وثائق الحوالة الحبسية، أرضية متينة ساعدتنا على تناول الموضوع، الذي عملنا على تقسيمه وفق منهجية خطة البحث، والتي تقوم على مقدمة وأربع فصول وخاتمة.

- **المقدمة**: تضمنت أهمية الموضوع، دواعي اختياره، منهجيته، المحاور والإشكاليات الكبرى التي يطرحها، وخطة البحث.

ـ **الفصل الأول**: يتمحور حول " أهمية الوثيقة الحبسية في كتابة التاريخ الاجتماعي "

ـ **الفصل الثاني** "السياق التاريخي لتشكل النسيج الديمغرافي لمدينة طنجة"

ـ **الفصل الثالث**: يتمحور حول " نساء طنجة خلال القرن الثامن عشر الميلادي ومساهمتهن في الوقف والتنمية والإعمار".

ـ **الفصل الرابع**: يتمحور حول" بيوتات طنجة خلال القرن 18."

ـ **خاتمـــة عامة**: تضمنت أهم خلاصات البحث.

عبد الله بن إدريس الداودي

طنجة

الفصل الأول

أهمية الوثيقة الحبسية في كتابة التاريخ الاجتماعي

مدخـــل:

في البداية لابد من الإشارة إلى القيمة التراثية والعلمية والتاريخية لوثائق الحوالات الحبسية، التي ظلت تبدو إلى عهد قريب مصادر جافة، بعيدة كل البعد عن مجال التاريخ، في حين أن مساهمتها كبيرة في إبراز معالم التاريخ الوطني؛ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والبيئي... باعتبارها رافدا مصدريا مهما، إلى جانب روافد ومصادر دينية وأدبية وفنية أخرى لا تقل أهمية في مجال الكتابة التاريخية، حضيت باهتمام من طرف ثلة من المؤرخين المغاربة منذ سبعينات القرن السالف، وخلال اشتغالي على عدة مواضيع تاريخية متنوعة اكتشفت أهمية هذه المصادر خاصة ذات الطابع الديني (الفتاوى والأوقاف...) فكنت أجد نفسي أعتمدها تلقائيا، لما تطرحه من قضايا مجتمعية من صميم الحياة المعيشة، وأدركت أهمية الحوالات الحبسية في البحث التاريخي عند اشتغالي لأول مرة على موضوع " إدارة موارد مياه المدينة الإسلامية تجربة تراثية رائدة (نموذج مكناس عند مطلع القرن 18م) "، وخلال اشتغالي على الموضوع "أوقاف نساء طنجة من خلال حوالة أحباس المدينة خلال القرن الثامن عشر"، تبين لي الدور الكبير للحوالات الحبسية، في تجميع معلومات نادرة لبلوغ ومقاربة " الحقيقة " التاريخية في مجال تشح فيه الوثائق على اختلاف أنواعها ومصادرها، وقد وجدنا في وثائق الحوالة

الحبسية نبعا منهمرا من ما نصبو للحصول عليه كمادة مصدرية، تعمل على توضيح جوانب من التراث والتاريخ الوطني لا زالت غميسة ولم تلق حظا وافرا من الدراسة، وتسد فراغا هائلا وتملأ جانبا مهما من النقص الذي يشعر به المؤرخ والباحث عندما يعتمد على كتب الحوليات التاريخية التي غالبا ما تجعل الحياة السياسية والبطولات الشخصية ووقائع الحروب، أولى أولوياتها.

فما هو مفهوم الحوالات الحبسية؟ وهل يمكن اعتبارها وثيقة تاريخية؟ وما العلاقة بين ربائد الحوالات الحبسية والتاريخ؟ وماذا يمكن أن يستفيده المؤرخ من هذه الوثائق بكل أصنافها؟

- مفهوم الحوالة الحبسية:

الحوالات الحبسية جمع حوالة مشتقة من التحويل أي تحويل شيء من مكان إلى آخر[1] والمقصود بها في عرف توثيق الأحباس المغربية؛ دفاتر وسجلات كبيرة تسجل بها الأملاك الحبسية العقارية والمنقولة، ومستفاداتها، وصوائرها، في إحصاء مضبوط للممتلكات الحبسية، بالإضافة إلى نصوص عدلية تثبت ملكية المحبسين لما وقفوه.

1- ابن منظور لسان العرب باب اللام، فصل الميم مادة حول،188/11.

إن أول من استحدث نظام الحوالات الحبسية لضبط رباع الأحباس هم المرينيون،[2] الذين قدموا خدمات جليلة لنظام الوقف بالمغرب، وخلال العهد العلوي، كانت هذه الحوالات، تسمى بأسماء الملوك، الذين أمروا بإحصاء وتسجيل الأوقاف فيها، ومن أشهرها نذكر؛ الحوالة الإسماعيلية، نسبة إلى السلطان العلوي المولى إسماعيل (1082هـ/1672م ـ 1139هـ/1727م) والحوالة السليمانية نسبة الى السلطان العلوي المولى سليمان (1206هـ/1792م ـ 1238هـ/1822م) والحوالة العبد الرحمانية نسبة إلى السلطان العلوي المولى عبد الرحمان بن هشام (1250هـ/1834مـ1271هـ/1859م) ...

- توثيق مستندات التحبيس:

انطلاقا من أن دين الإسلام هو دين علم، يقوم على القراءة والكتابة، فإن القرآن الكريم نص، في عدة نصوص، على أن علاقات ومعاملات المسلمين يجب أن تقوم على أساس موثق؛ زواج، طلاق، إرث، وقف، قرض... وإذا كان بعض الفقهاء قد ذهبوا إلى استحباب[3] التوثيق، فإننا نميل إلى القول بأن

2- رقية بلمقدم أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل منشورات وزارة الأوقاف الجزء الأول ص 103.

3- عبد الرحمان بن علي الطريقي كلية التربية جامعة الملك سعود توثيق الوقف المعيقات والحلول ص11.

التدوين والكتابة وتوثيق المعاملات اعتمادا على نص قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه﴾ (سورة البقرة آية 282) يدخل في باب الوجوب؛ لكون الآية صريحة، وتؤكد بلغة الأمر ل " الذين آمنوا " ولغة التأكيد على الكتابة والإشهاد " فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب ... "
وبناء على ما سبق فإن مشروعية توثيق الدين بالكتابة والإشهاد عليه يدخل في باب الوجوب، بهدف حفظ الأموال والحقوق وصيانتها لأصحابها، وهذا المعنى مطلوب في سائر المعاملات بين الناس، وباعتبار أن الوقف نوع من أنواعها، ومتداول على نطاق واسع بين المسلمين، فهو بدوره يحتاج إلى توثيق مكتوب، لحمايته وحماية ذوي الحقوق.

وتأسيسا على هذه الأرضية الدينية الواردة صراحة في النص القرآني، عمل أهل الغرب الإسلامي، من سلاطين وولاة وحكام، وكتاب عدول من مختلف شرائح المجتمع، على إعطاء اهتمام كبير لمسألة تدوين وتوثيق المعاملات الحبسية في وثائق خاصة، جمعت على يد سلاطين مغاربة في شكل حوالات حبسية، تزخر بها إدارة وزارة الأحباس والشؤون الإسلامية ونظاراتها في مختلف أرجاء المدن المغربية العتيقة.

وأمام الاهتمام المتزايد بعملية التّدوين تشكلت معالم فن نثري يهتم بصياغة وكتابة الوثائق، برع فيه كتاب العدول عموما وكتاب السلاطين خاصة، ومن أجل إرساء قواعد هذا الفن، كان على الكاتب أن يراعي عناصر وأركان كتابة الوثيقة الوقفية، وهو أمر – في نظرنا – يفيد المؤرخ في بلورة تصوره للحدث التاريخي. وهذا مقتطف من نص وثيقة " تحبيس المولى إسماعيل، أعيان على سقاية الذهب بمدينة مكناس خلال القرن 12هـ/18م" [4] نعتمده نموذجا لإبراز عناصر الوثيقة الحبسية عموما.

" الحمد لله، أشهد لدى شهيديه أمين الدار العلية بالله وناظر سائر أحباس الإيالة الشريفة السيد محمد بن محمد الكاتب الأندلسي (بياض)...حبس جميع الحوش المستدير بالحيطان... الكائن بقصبة تيزيمي المجاور من أسفل الحوش حبس مسجد صواغة... على إصلاح الماء المجلوب لسقاية الذهب التي أحدث بناءها مولانا الإمام المذكور بقنطرة دردورة خارج مدينة مكناسة... وأذن الأمين المذكور لناظر المسجد الأعظم في الحين المكرم عبد الوهاب بن محمد حجاج في حوز الحوش المذكور فتوجه صحبة شهيديه فحازه حوزا تاما في ثاني جمادى الأولى عام سبعة عشر ومائة وألف... "

4- رقية بلمقدم مرجع سابق ص 525

وعندما نتأمل نص هذه الوثيقة الحبسية، ونعمل على تحليلها، سنكتشف أن كتابتها تقوم على عناصر تراعي مجموعة من الخطوات، يمكن أن نوجزها في النقط التالية:

- **أولا**: تستهل الوثيقة بالحمد لله وهو شكل من أشكال الإستهلال أو التقديم.

- **ثانيا**: تأتي الوثيقة على ذكر الشخص الواقف صراحة " أن مولانا المنصور بالله ".

- **ثالثا**: تأتي على ذكر نوع الموقوف بالتفصيل الدقيق " جميع الحوش المستدير بالحيطان... الكائن بقصبة تيزيمي المجاور من أسفل الحوش حبس مسجد صواغة ".

- **رابعا**: تأتي على ذكر القيم على الوقف أي الناظر " وأذن الأمين المذكور - أمين الدار العلية بالله – لناظر المسجد الأعظم في الحين المكرم عبد الوهاب بن محمد حجاج في حوز الحوش المذكور فتوجه صحبة شهيديه فحازه حوزا تاما ".

- **خامسا**: تأتي على ذكر صيغة الوقف " حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا قصد بذلك المنفعة العامة لجميع المسلمين ".

- **سادسا**: تأتي على ذكر أوجه الإنفاق " على إصلاح الماء المجلوب لسقاية الذهب التي أحدث بناءها مولانا الإمام المذكور بقنطرة بردورة خارج مدينة مكناسة ".

- **سابعا**: تأتي على ذكر الكاتب والشهود " شهيديه أمين الدار العلية بالله وناظر سائر أحباس الإيالة الشريفة السيد محمد بن محمد الكاتب الأندلسي ".

- **ثامنا**: تأتي الوثيقة على ذكر تاريخ تدوين حدث التحبيس " في ثاني جمادى الأولى عام سبعة عشر ومائة وألف ".

وبذلك فهذه العناصر التي تحملها أغلب الوثائق الحبسية، هي صلب مبتغى المؤرخ من أي وثيقة يسعى لدراستها، لخدمة أهداف بحثه، فعندما تقدم له هذه المعطيات الثمانية متكاملة وموثقة، فإنها توفر له أرضية خصبة لمعرفة أوسع عن موضوع دراسته.

وعموما نميز في أنواع التوثيق في الأحباس بين نوعين أساسيين هما:

- **توثيق غير رسمي**: أي ما يكتبه الواقف بنفسه دون الرجوع إلى الجهات المختصة بالتوثيق، وتكون عبارة عن وصية غير مسجلة لدى السلطات الرسمية، وهذا الصنف من التوثيق غالبا ما يكون مرتبطا بالوقف

الذري[5]، وغالبا ما تكون هذه الوثائق في ملكية خاصة للعائلات والأسر، يصعب الوصول إليها من طرف الباحث والمؤرخ.

- **توثيق رسمي**: ويتم من طرف شخص مختص في مجال توثيق الوقف الثابت ملكيته لصاحبه توثيقا رسميا، كالقاضي أو كتاب العدول في المحاكم الشرعية، ويرتبط هذا الصنف أساسا بالوقف الخيري[6].

فالنوع الأول، لا تخفى أهميته التاريخية - رغم ضعف قيمته التوثيقية - خاصة عندما تنذر المعطيات والوثائق في موضوع بحث محوري بالنسبة للمؤرخ، فيبحث عن كل ما قد يساعده على إعادة بناء تصور ملامح المرحلة

---

5. يعرف أيضا بالوقف الأهلي أو الوقف المؤقت أو الوقف الخاص، وهو نوع يهدف لتحقيق مصلحة خاصة لفائدة الذرية، الأقارب، الأولاد أو البعض منهم، لفائدة أفراد يستغلونها مدى حياتهم وعند انقراضهم يحول نفعها لأحباس مسجد الجماعة مثلا، هذا النوع من الوقف أبطله بعض الفقهاء بحجة أنه "من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر لأنه تغيير لشرع الله في أنصبة المواريث" كما أن بعض الدول ألغته. (انظر موضوعنا حول إدارة الوقف لموارد المياه بالمدينة الإسلامية)

6. ويعرف أيضا بالوقف المؤبد والوقف المطلق والوقف العام، ويقصد به الواقف، التصدق على وجوه البر يستهدف تحقيق مصلحة عامة، والوقف الخيري هو ما حبس على جهة من جهات البر، ولو لمدة معينة، وهو الأكثر انتشارا في العالم الإسلامي، فإذا وقف إنسان داره لينفق ريعها على المحتاجين من أهل بلده كان وقفه خيريا. أو إذا وقف داره لينفق ريعها على ترميم قادوس سقاية ودوام جريانها كان وقفه خيريا، فالوقف الخيري إذا هو وقف ينعكس نفعه على المجتمع ويصرف ريعه على أشخاص معنيين من المحتاجين. إن أغلب الأوقاف الخيرية كانت في مجال خدمة المؤسسات العامة كالمساجد، المعاهد، المدارس، المارستانات، دور الأيتام ودور العجزة .... (انظر موضوعنا حول إدارة الوقف لموارد المياه بالمدينة الإسلامية)

المراد التأريخ لها، أما النوع الثاني فأهميته ومصداقيته كبيرة جدا لكونه يحمل صفة رسمية، موثقا ومسجلا لدى الجهة المختصة وهذا ما يعطيه قيمة مضافة. وعموما فكلا النوعين أو الوثيقتين، تساعدانه على تركيب صرح البناء التاريخي من جوانبه المختلفة، مع اعتماد نباهة المؤرخ في المقارنة والاستنباط والإلتزام بالمنهج التاريخي.

الوثيقة الحبسية والكتابة التاريخية أية علاقة؟:

لعل السؤال الذي يفرض نفسه بحدة على الباحث في مجال الكتابة التاريخية هو: إلى أي حد تكمن أهمية وثائق الحوالات الحبسية في خدمة الكتابة التاريخية؟ والجواب عنه كامن في الظروف العامة والحيثيات التي جعلت من الوثيقة الحبسية وثيقة تاريخية، وذلك لكون أن سياق كتابة التاريخ الوطني اليوم، يختلف عن السياق العام لتدوين الحوالات الحبسية، فالتاريخ الوطني لم يتعامل معها على أساس أنها مجرد مادة أو مصدر من بين المصادر والمواد الكثيرة والمتنوعة، بل ظل يتعامل معها من الخارج وربما "من أعلى" على أساس أنها لا توفر مادة تاريخية كافية، أو أنها كانت تدخل – في نظر البعض– ضمن العلوم الدينية فحسب. وظل التاريخ يقف عند بعض الأسماء والشخصيات والأحداث دون إدماج المادة المصدرية، التي تتضمنها الحوالات الحبسية، لكن بعد تطور المناهج التاريخية في الغرب واقتحام البحث التاريخي الحديث

المجالات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، بدأ البحث عن مصادر موازية للمصادر التقليدية يتبلور، حيث اتجهت الكتابة التاريخية إلى تدارك النقص الذي ظل يطال كتب الحوليات؛ بالرجوع إلى آثار ومصادر جديدة لم تستثمر بالشكل الكافي لدراسة عقليات المجتمع القروسطي المتدين.

حسب علمنا فإن أول من اهتم بهذه المصادر الجديدة المتمثلة في الكتب والوثائق الدينية والفتاوى والنوازل الفقهية وعقود العدول والتحبيس كمصادر لكتابة تاريخ الغرب الإسلامي هم المستشرقون منذ النصف الأول من القرن العشرين من أمثال: ليفي بروفنسال[7] وإميل عمار[8] وألفريد بيل[9] وجوزيف شاخت[10] والهادي روجي إدريس[11]... وجاك بيرك[12] الذي فتح بأبحاث ومجهوداته القيمة، الباب واسعا على مصراعيه على التاريخ الإجتماعي والإقتصادي عندما اعتمد في أحد أبحاثه " نوازل المزارعة من خلال كتاب المعيار للونشريسي " مرجعية فقهية محضة.

---

7. Levis Provencal Histoire de L' Espagne Musulmane.BulletinHispanique Année 1948 Volume 50 Numéro 50-1 pp. 89-92

8- Emil Amar Archives Marocaines vol 12/13 _ 1908_1909

9. ألفريد بيل "النقائش العربية بفاس": Inscriptions Arabes de Fes – 1917 الجريدة الأسيوية .1919. باريس. ص : 222 – 224

10- Joseph Schacht Esquisse d'une Histoire du droit musulman 1953 Librairie Orientale et Américaine, 1953 .

11- Hady Roger Idriss La berberie orientale sous les zirides 10_12 siécle Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien-Maisonneuve, 1962.

12- J .Berque Les Nawaziles al muzaraa d'aprés le Miyar Al jaded 1938

إن الإشتغال على النوازل والفتاوى الفقهية يتقاطع بقوة مع قضايا تهم الأحباس، فقد وردت في المعيار نفسه عدة فتاوى ونوازل حبسية طرحت على علماء في قضايا ومشاكل مختلفة؛ ترتبط بالجوار والماء والمغارسة والأرحى والأراضي الزراعية... وهي صلب المواضيع التي تعالجها وثائق الحوالات الحبسية.

في حين أن اهتمام المؤرخين المغاربة، إلى حدود نهاية عقد الستينات، بهذا النوع من المصادر ظل محدودا، لا يتعدى بعض الإشارات المتواضعة، من بعيد، إلى الدعوة للتوقف عند مساهمة قطاع الأوقاف في صنع الحضارة الإسلامية، ولم يتم الاعتماد على وثائق الأحباس كوثائق تاريخية عند المؤرخين المغاربة، إلا في مرحلة لاحقة عندما أشار الدكتور عبد الله العروي "إلى أن الأجوبة الفقهية والعقود العدلية، لم تستغل بعد في كتابة التاريخ المغربي"[13]. وفي نفس السياق أشار الأستاذ المنوني إلى " أن الإفادات التاريخية غير المحدودة، إنما تنبث في... كتب الجغرافيا والرحلات والموسوعات القديمة ومدونات النوازل... ووثائق الحوالات الحبسية...

13- عبد الله العروي مجمل تاريخ المغرب المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ص19

ومعطيات الوقفيات المسجلة بأوائل عدد من الكتب..." [14] وظلت هذه الإشارات عبارة عن توجيهات لطلبة السلك الثالث في شعبة التاريخ، ولم تثمر عمليا إلا في مرحلة لاحقة.

وبناء على أبحاث المستشرقين وتوجيهات مؤرخين – جهابذة – كبار من حجم الدكتور عبد الله العروي والفقيه المؤرخ محمد المنوني... ازدادت أهمية الكتب الأدبية وكتب التصوف والرحلات والمناقب، فضلا عن المصادر "الفقهية" مثل كتب النوازل والفتاوى الفقهية والحوالات الحبسية، التي أصبحت تشكل ثروة مصدرية هامة للمؤرخ. فخلال عقد السبعينات، تدارك بعض أساتذة التاريخ وطلبة السلك الثالث في نفس التخصص داخل حرم الجامعة المغربية الوضع مستفيدين من تطور المناهج، وأبدع بعض هؤلاء الشباب[15] في تناول قضايا تهم إعادة كتابة التاريخ الوطني، بل تنافسوا في

14- محمد المنوني المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى العصر الحديث منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط الجزء الأول ص8.

15- من الأساتذة الشباب، خلال السبعينات، الذين استعانوا بهذا النوع من الوثائق (مصادر متنوعة رسمية وحبسية وكناشيش وأوراق العائلات والزوايا ووثائق فقهية ونوازل وتواريخ محلية ورحلات ونصوص اثنوغرافية): الأستاذ أحمد التوفيق في أطروحته التي تقدم بها لنيل دبلوم الدراسات العليا، في يوليز1976، حول موضوع "المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر: إنولتان 1830– 1912" والأستاذ محمد مزين في رسالته، "فاس وباديتها في تاريخ المغرب السعدي" مطبعة المعارف الجديدة الرباط 1986.

اعتماد النوازل الفقهية والتراجم والكناشات والحوالات الحبسية، في دراساتهم المونوغرافية للإحاطة بالتاريخ غير المؤرخ له.

فإذا كانت أغلب المصادر التاريخية الكلاسيكية تهتم باتجاه محدد، وغالبا ما تأخذ بالاعتبار الطابع السياسي والعسكري وتهتم بالزعيم والقائد، فإن المصادر الأخرى غير التاريخية؛ النوازل الفقهية والتراجم والرحلات ووثائق التحبيس والأوقاف... تفيد الدارسين وتفتح أمامهم آفاقا ـ قد تكون فسيحة ولا حدود لها ـ على ألوان ومواضيع وقضايا جديدة من التاريخ الوطني؛ فالحوالات الحبسية مثلا، قد تفيد في توضيح أحداث اجتماعية أو اقتصادية خلال محطات تاريخية متباينة، بتقديم صورة عن الأخلاق الشعبية في ميدان البر والإحسان، من خلال وثائق تشهد على تحبيس أفراد لأملاكهم على مختلف المجالات الإنسانية والبيئية.

أصبح المؤرخ يعتمد الحوالة الحبسية، كمصدر رئيس لكتابة نصه التاريخي، في مجالات تأريخه للحياة الإجتماعية والثقافية للمجتمع المغربي، خاصة وأن هذه الحوالات قد أصبحت موثقة، بشكل دقيق، في سجلات رسمية منذ مرحلة حكم المولى إسماعيل؛ أي مع بدايات توطيد الحكم العلوي (الحوالة الإسماعيلية) ثم في مرحلة لاحقة (الحوالة السليمانية) وكذا (الحوالة العبد الرحمانية). ومن الأبحاث التي اشتغلت بشكل مركز على هذه الحوالات، نذكر

على سبيل المثال لا الحصر: الأستاذة رقية بلمقدم التي اعتمدت الحوا
الإسماعيلية بمكناس، للتاريخ لمدينة مكناس من خلال بحثها " أوقاف مكناس
في عهد مولاي إسماعيل (1082ـ1139هـ/1672ـ1727م)" وكذلك الأستا
عبد الحق بن المجذوب الحسني الذي اعتمد على حوالات فاس في بحثه "الحا
الاجتماعية بفاس في القرن الثاني عشر الهجري من خلال الحوال
الإسماعيلية"[16]، كما أرخ من خلالها الأستاذ السعيد بوركبة، للوضع الثقافي
بالمغرب في العهد العلوي من خلال عمله المعنون ب " دور الوقف في الحياة
الثقافية في عهد الدولة العلوية"[17]، وكانت حوالة أحباس تارودانت، مصدرا
لها الفضل في التعريف بتاريخ خزانة الجامع الكبير بنفس المدينة، منذ فترة
تأسيسها إلى أواخر المائة الهجرية الثالثة عشرة[18].

إن اهتمام المؤرخ بالحوالات الحبسية، راجع إلى أن هذه الحوالات
موثقة، ومتوفرة في إدارة نظارات الأوقاف، والمكتبات العامة، وقد يسهل

16- عبد الحق بن المجذوب الحسني "الحالة الاجتماعية بفاس في القرن الثاني عشر الهجري من خلال الحوالة الإسماعيلية"، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط، ط 1427 هـ/2006م.

17- انظر السعيد بوركبة " دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة العلوية"، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الثقافية، مطبعة فضالة- المحمدية، 1417هـ- 1996م.

18- محمد بن عبد الهادي المنوني، الخزائن العلمية بمدينة تارودانت وما إليها، مجلة دعوة الحق العدد 280 محرم الحرام- صفر الخير 1411/ غشت- شتنبر 1990.

الوصول إليها والإطلاع عليها، خدمة للبحث العلمي، بخلاف غيرها من المصادر الأخرى، التي تدخل في خانة الوثائق الخاصة التي يملكها أشخاص أو عائلات يخافون عليها من النور وبالتالي يتعذر الوصول إليها.

- نماذج من الحوالات و الكنانيش الحبسية:

تتوفر المملكة المغربية، على أرشيف كبير لا ينضب من الوثائق الحبسية، التي تتوزع على مختلف المدن العتيقة بكل جهات التراب الوطني، وترتبط أيضا بمجمل البوادي المغربية، فإن أسلافنا قد اعتبروا أن التحبيس، أي الصدقة الجارية، جزء لا يتجزأ من الدين الإسلامي، وأن هذه الثقافة التي تشبعوا بها هي لدوام منفعة خدمات المؤسسات الدينية والثقافية والإجتماعية ... فدونوها في وثائق وحوالات نذكر منها:

- **حوالة أحباس طنجة:** في مجلدين اعتمدنا في دراستنا المجلد الأول الذي تناولت أغلب وثائقه أحداث القرن الثامن عشرالميلادي.

- **حوالات أحباس فاس:** الحوالة الجديدة، حوالة المدارس، الحوالة الإسماعيلية، الحوالة السليمانية، الحوالة العبد الرحمانية...

- **حوالات أحباس مكناس:** حوالات أحباس المساجد الصغرى، حوالات أحباس المساكين، حوالة أحباس الجامع الكبير، حوالات الأحباس الكبرى والأحمدية...
- **حوالات أحباس تازة.**
- **حوالات أحباس تارودانت.**
- **حوالة أحباس زرهون.**
- **حوالة أحباس دمنات...**

الكنانيش و التقاييد الوقفية:

الكناشة، هي أوراق كالسجل أو الدفتر يقيد فيها صاحبها ما يرغب في تسجيله من الأحداث التي شاهدها وعاشها؛ إجازاته وأشعاره ومساجلاته الأدبية... ويذكر الأستاذ المنوني أن أقدم كناشة معروفة في المغرب وهي للفقيه العالم المؤقت عبد الرحمن الجادري[19].

19- عرف به محمد بن جعفر الكتاني في "سلوة الأنفاس" (ج 2، ص: 176): أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن عطية المدْيُوني، ثم الجاديري، به عرف، الفاسي... سنة ست -أو سبع- وسبعين وسبعمائة، وقطن فاسا، وكان بها عدلا مبرّزا، وولي توقيت جامع القرويين، وكان أحد أعلامها، فقيها محصلا، متفننا مقرئا، نحويا حيسوبيا، مؤقتا بمنار القرويين... توفي - رحمه الله- بفاس سنة ثمان عشرة وثمانمائة.

وقد خلف أغلب علماء المغرب عبر العصور عدة كناشات، ككناشات أحمد زروق[20] وعبد الواحد الونشريسي[21] والفقيه المنجور[22] والكناشات الفاسية والسودية واليحمدية (توجد 40 كناشة لفحول العلماء بالخزانة الأحمدية بفاس) والشرقاوية.[23] هذا بالإضافة الى كناش يشتمل على تقييد أوقاف الولي عبد الله بن أحمد، وكناش إحصاء الكتب التي بخزانة مقصورة القرويين، وكناش يشتمل على تقييد أوقاف زاوية سيدي علي منون، وكناش يشتمل على تقييد أوقاف مساجد مكناس، وكناش يشتمل على تقييد صوائر المسجد الأعظم،

20- أحمد بن أحمد البرنسي الفاسي المعروف بزرّوق ولد 846هـ/1442م بقبيلة البرانس قرب فاس، كان مالكي المذهب، محبا للتصوف. اشتغل في مصر بعلوم اللغة وأصول الفقه، تولى إمامة المالكية وصار المرجع في المذهب وانتفع على يديه خلق كثير وتوفي بمدينة مصراتة غرب ليبيا سنة 899هـ.

21- هو أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي ولد حوالي سنة 834هـ / 1430م هرب بأهله من الجزائر إلى مدينة فاس المغربية سنة 874هـ، واستقر بها، حتى وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء عشرين من صفر سنة 914هـ، عن عمر80 عاما ومن أهم أشهر كتبه: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والمغرب...

22- هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور الفاسي ولد سنة 929هـ، تتلمذ على خيرة علماء فاس ، تعمق في معظم علوم عصره كعلم الأصول والفقه، والتاريخ والسير، وعلم الحديث، وطبقات العلماء، وعلم البيان، والحساب، والمنطق، اشتهر في حياته بالصلاح والزهد؛ يقول الدكتور محمد حجي محقق فهرس المنجور: "ألف المنجور ثلاثة عشر كتابا عدا الفهرس"وكانت وفاته بفاس ليلة الاثنين 16 ذي القعدة 995هـ.

23- محمد المنوني، الكناشات المغربية، مجلة المناهل، العدد الثاني، صفر – مارس 1395 /1975، ص. 196.

وكناش يشتمل على صوائر مساجد وأضرحة مكناس، وكناش مداخيل بيت المال من أوقاف بعض الأضرحة والمساجد[24].

- نماذج من مواضيع الوثائق الحبسية:

تناولت وثائق الأحباس مجالات مختلفة في المجتمع المغربي؛ فمنذ الفتح الاسلامي، عمل الفاتحون الأوائل على تأسيس مساجد لنشر رسالة دين الاسلام الجديد على أرض وسكان الغرب الإسلامي، فقد ذكرت كتب التاريخ أن عقبة بن نافع أسس مسجدا بدرعة وآخر بسوس الأقصى[25]، وشيد موسى بن نصير مسجد الملائكة بقبيلة بني حسان، كما بنى طارق بن زياد مسجد الشرافات بقبيلة الأخماس، وفي العهد الإدريسي بني مسجد القرويين ومسجد الأندلسيين...بفاس، وخلال القرون الثلاث الأولى بعد الهجرة النبوية كثرت أوقاف الجهاد ببلاد المغرب والأندلس؛ فكثرت الرباطات[26] وساهم في الإنفاق عليها أغلب المسلمين، بعد ذلك ساهم المرابطون والموحدون والمرينيون والسعديون والعلويون في تعزيز هذه البنية التحتية الدينية حتى قيل أنه؛ قل أن

24- انظر رقية بلمقدم مرجع سابق فهرست المصادر ص 634.

25- ابن عذاري البيان المغرب دار الثقافة بيروت ص27

26- يذكر ابن عذاري في البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ص 84 أن ادريس بن عبد الله (ت175هـ) مؤسس الدولة الإدريسية أسس رباط تازة وأوقف عليه أوقافا لدوام مهمته الجهادية.

يجد المرء في المدن المغربية العتيقة دكانا أو فندقا أو بستانا لا تعود فائدته كلا أو بعضا منها إلى الأحباس، والملاحظ أن بناء هذه المساجد ومختلف المؤسسات الدينية لم يكن حكرا على الحكام ورجال الدولة والتجار، بل اشتركت فيه النساء ايضا بنصيب وافر، وهذا التنوع في المجالات التي ترتبط بالأوقاف، يعطي للمؤرخ من خلال وثائق التحبيس، فرصة نادرة، لا توفرها مصادر أخرى لدراسة لتتبع تطور الأوضاع الدينية.

فبالإضافة الى الأوقاف التي كانت تدر نفعا على المؤسسات الدينية من مساجد وكراسي علمية وخزانات ثقافية وزوايا ورباطات... فإن الواقفين المغاربة، كانوا يخصصون جزءا مهما منها للملاجئ الخيرية ولإقامة العجزة، والمكفوفين، وحماية القاصرين[27] ولإقامة أعراس المستضعفين، واستقبال الغرباء، وأخرى لاستقبال النساء الغاضبات على أزواجهن مثلا بدار الدقة بمراكش ودار الزاوية بزرهون، وكان عموم الناس يحبسون عقارات تدر دخلا دائما يكون مصدرا للإنفاق عليها، فقد كانوا يوقفون أموالاً بصندوق خاص، يستثمرونها لتعويض قيمة الأواني الخزفية التي تنكسر للمتعلمين

27- وداد العيدوني حماية القاصرين في نظم الوقف بالمغرب والأندلس مجلة أوقاف عدد 13 نونبر 2007.

بالسقايات،[28] أو لقضاء ديون الغرماء المعسرين المسجونين، وإطلاق سراحهم، وقضاء ديون المتوفين، كما تم احداث أوقاف للإنفاق من ريعها على البيمارستانات، الخاصة بإيواء المرضى من المحتاجين والغرباء وتجهيزها بأطقم من الأطباء والمشرفين والصيادلة وطلبة الطب والنماذج كثيرة منها مستشفى سيدي فرج بفاس خلال العهد المريني[29].

كما خصصت أوقاف أخرى للإنفاق على إنارة الدروب المظلمة بالمدن، وتوفير المياه، وحفر الآبار، والعيون، وإقامة السقايات، وأوقاف لمد قنوات نقل المياه من منابعها إلى أماكن استعمالها، وتجهيز شبكة المياه الصالحة للشرب داخل المدن، والسهر على إصلاحها وصيانتها في حالة العطب وأخرى لدور الوضوء والحمامات وغيرها[30]. كما استحدثت أوقاف لرعاية بعض الحيوانات كالقطط والطيور البرية (طائراللقلاق والحمام)... وهذه المواضيع المتنوعة التي دونتها وثائق الأحباس خلال حقب تاريخية مختلفة، تفتح شهية المؤرخ لخوض غمار كتابة تاريخية متميزة تتتبع تطور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

28- السعيد بوركبة مرجع سابق ص83 ـ 84 .

29- عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب طبعة القاهرة 1949 ص411.

30- عبد الله الداودي إدارة موارد مياه المدينة الإسلامية تجربة تراثية رائدة (نموذج مكناس عند مطلع القرن 18م)

وبذلك فإن هذه المواضيع، التي تناولتها وثائق الأحباس، قد وفرت معطيات لا حدود لها وأرضية خصبة، تعطي مجالا واسعا من الحياة العامة للإنسان المغربي والإسلامي، وهي صلب ما يبحث عنه المؤرخ في المصادرالأصلية لإغناء أبحاثه عبر مختلف عصور تطور الحضارة الإسلامية، حين كانت الأوقاف تلعب دورا فاعلا في معظم أوجه الحياة العامة بجوانبها المختلفة من رعاية وتمويل وتموين المؤسسات الدينية؛ مساجد ومدارس وزوايا وكراسي علمية وخزانات كتب ... وتشجيع العلم والعلماء. وقد امتدت خدمات الأوقاف لتشمل مجالات الأمن الغذائي والمائي والتنمية الإجتماعية والإقتصادية والبيئية والرعاية الصحية...

إن المواضيع التي تتناولها الوثائق الحبسية تبرز للمؤرخ دور الأوقاف وإدارتها، التي كانت تتسم بكفائة أنظمتها الإدارية، في تخفيف العبء عن الدولة، في المجالات المتنوعة السالف ذكرها.

ـ خلاصـــة:

بناء على ما سبق، هل يمكن أن نخلص إلى إجابات عن الأسئلة التي طرحت سابقا؟ خاصة منها التساؤلات التي تطرح عما إذا كانت وثائق الحوالات الحبسية يمكن أن ترقى إلى مستوى مكانة الوثيقة التاريخية؟ وبالتالي هل تساهم هذه الوثائق الحبسية في فتح آفاق جديدة أمام البحث التاريخي في المغرب؟

هي أسئلة يجيب، عنها واقع الكتابة التاريخية، ومدى قدرة هذه الأخيرة على استثمار هذه الوثائق كمصدر خبري؛ فإذا كان الفقيه أو رجل القانون يسعى من دراسته لوثائق الأحباس إلى تتبع طريقة معالجة القضايا الفقهية والقانونية للإفادة منها، فإن عمل المؤرخ يتجلى في اعتماد هذه الوثائق الحبسية كمادة خبرية محضة، يمكن أن تكون مصدر إخبار عن أحداث مختلفة ومتنوعة، بكل جوانبها الإجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والبيئية... وغالبا ما تكون أخبارا مباشرة، وموثقة بشهادة عدول ومصادقة القاضي، وغير قابلة للتأويل، وهو ما يعطي قوة ومصداقية للوثيقة الحبسية بالمقارنة للوثائق الفقهية الأخرى ــ الفتاوى ــ مثلا.

وبذلك فأن الوثائق الحبسية، في مجتمع مغربي متدين، يمكن أن تكون مادة خصبة للكتابة التاريخية، خاصة وأنها تبرز مدى التفاعل القائم بين الدين والمجتمع والاقتصاد بمنأى عن الحقل السياسي، فتسمح بذلك للمؤرخ بتتبع ظواهر مختلفة في المجتمع، أغفلتها ـ عن قصد أو غير قصد ـ كتب المصادر التاريخية، الأكثر تداولا (الحوليات)، وبالتالي يصبح ـ المؤرخ ـ قادرا على بلورة تصور التطور الذي عرفه المجتمع، أو المجال المعين المراد دراسته.

الفصل الثاني

السياق التاريخي لتشكل النسيج الديمغرافي لمدينة طنجة

أكلُ لأعيش .. لا أعيش لآكل.

ماهاتما غاندي

مدخل:

ساهمت طنجة وضواحيها بقوة في أحداث العالم القديم والغرب الإسلامي، منذ العهود القديمة مرورا بالفتح الأول وبالأحداث الكبرى التي عرفتها بلاد المغرب وفتح الضفة الشمالية من المضيق، الى غاية مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، عندما أصبحت تحت مرمى قادة حروب الإسترداد المسيحي.

تشكل النسيج الحضري لمدينة طنجة خلال مسار متسلسل من الأحداث المترابطة والمترامية في الزمن البعيد، إلا أن التاريخ الحديث شهد عدة تطورات جعلت تاريخ المدينة، يعرف مرحلة فاصلة، امتدت على 213 سنة من الاحتلال الأجنبي، فتاريخها الإسلامي الحديث، يبتدئ من سنة إعادة فتحها نهاية القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، لذلك ارتأينا أن المرحلة اللاحقة للفتح نموذجية لدراسة دور الأوقاف في ترسيخ القيم الروحية، وتمتين التلاحم الإجتماعي، وبناء أسس قوة اقتصاد المدينة، وبالضبط دور أوقاف النساء لما له من دلالة، تبرز أهمية مساهمة كل مكونات المجتمع الطنجي من بيوتات مختلفة الأصول القبلية والعرقية، من رجال ونساء، في البناء والتنمية، خاصة وأن المدينة كانت تعيش حالة تحول دقيق، وهو ما فرض المزيد من التطوع في مجال العمل الخيري قصد إعادة إعمارها.

هذه الأعمال الجليلة ساهم فيها رجال عظام من حجم القايد علي بن عبد الله رجل المرحلة بامتياز، وأحد رجالات[1] السلطان العلوي المولى إسماعيل، ثم رجال بعده عبّروا عن كفاءات قيادية وسياسية وديبلوماية عالية وآخرين في مجال العدل وأمانة النظارة، في زمن أثّرت فيه المتغيرات والاضطرابات السياسية على الحياة العامة، ناهيك عن دور الكوارث الطبيعية من جفاف ومجاعات وأوبئة وزلازل،

طنجة، قبيل الاحتلال البرتغالي:

رغم هذا التاريخ العريق للمدينة فإن المعلومات ومصادر الأخبار تشح عن ساكنتها وديموغرافيتها، خلال حقب طويلة من تاريخها، فيضطر الباحث الى التنقيب في ما بين سطور المصادر واستقراء الإشارات الواردة فيها وإعادة تركيبها وفق تصور جديد يخدم موضوع البحث.

تحدث مارمول بإيجاز عن هذه المرحلة قائلا " كانت طنجة مزدهـــــرة... الدور حسنة البناء، يسكنها عدد من أعيان موريطانيا الطنجية... وحيث أن السكان أنفسهم شجعان فإنهم كانوا يغزون الشواطئ على

1- ورد في كتاب الكفاف ليوسف الصيداوي عن دار الفكر طبعة 1999 بيروت لبنان؛ أن هذا الجمع يدخل في باب جَمْع الجمع بيت بُيوت بُيوتات. رَجُل رجال رجالات. طريق طرق طرقات. غطاء أغطية أغطيات. فَتْح فتوح فتوحات. فَيْض فيوض فُيُوضات وقد أجاز مجمع القاهرة جمع الجمع.

متن سفن حربية...»[2] أما حديث الحسن الوزان عنها لا يختلف كثيرا عن سابقه" ومازالت طنجة مدينة متحضرة شريفة مأهولة بأحسن العناصر من السكان، مشتملة على قصور جميلة قديمة وحديثة... تكثر فيها الحدائق التي تنتج البرتقال والليمون وغيرهما من الثمار... عاش سكان طنجة عيشة راضية الى أن سقطت أصيلا"[3] فموقعها وطبيعة ومناخ محيطها يؤهلانها لتكون مصدر جلب للأنظار ومنية للاستقرار، فتوافد عليها المهاجرون من شتى البقاع، لكن أشهر الهجرات التي تلقتها قبل هذه المرحلة هي هجرة الأندلسيين الذين ازداد تدفّقهم عَلى حواضر وبوادي شمال المغرب بعد سُقُوط المدن الأندلسية الكبرى كقرطبة[4] وبلنسية[5] وإشبيلية[6] في يد المسيحيين، فكانت طنجة وباديتها، خاصة تلك التي تقابل السواحل الأندلسية، أول المستقبلين لهؤلاء المهاجرين، المثقلين بأحمالهم المادية والمعنوية، وما أن استقروا بهذه

2- مارمول كاربخال إفريقيا الجزء الثاني ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر،أحمد التوفيق أحمد بنجلون ص 209 منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

3- الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي وصف إفريقيا ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر دار الغرب الاسلامي ص 314.

4- يوم الأحد (23 شوال سنة 633هـ/30 يونيو 1236) دخل الصليبيون بقيادة فرناندو الثالث ملك قشتالة المدينة صلحا بعد أن استنفذ أهلها كل أشكال المقاومة.

5- يوم الجمعة (27 صفر سنة 636هـ/9 أكتوبر 1238م) دخل خايمي ملك أراجون بلنسية صلحا بعد أن استنفذ أهلها كل أشكال المقاومة.

6- يوم الثلاثاء (5 من رمضان 646هـ = 22 من شهر ديسمبر 1248م) دخل فرناندو الثالث ملك قشتالة مدينة إشبيلية صلحا.

البقاع حتى تبعهم الإيبيريون في حرب صليبية نقلوا رحاها إلى أرض شمال افريقيا.

كان من الطبيعي أن يُستهدف ثغر طنجة؛ لموقعه واستراتيجيته، خاصة بعد ما عرفه العالم من تطورات جديدة تمثلت في؛ خروج الاسبان والبرتغال في محاولة لمحاصرة المسلمين من الخلف، وضرب وساطتهم التجارية مع الشرق الأقصى، بدعوى الاكتشافات الجغرافية والعلمية. فما لبث أن نقل البرتغاليون والإسبان حروبهم إلى شمال إفريقيا، في محاولة منهم للسيطرة العسكرية على ثغورها.

وقد ظلت طنجة قضية محورية في المشروع الاستعماري البرتغالي، تجلى ذلك في المحاولات المتكررة والإصرار القوي على احتلالها، خاصة عندما كلف الملك البرتغالي ادوارد الأول إبنه دون فرناندو بمهمة احتلالها سنة 841هـ/1437م[7] إلا أن هذا الأخير، ولسوء حظه، سقط أسيرا في يد الجيش المغربي، ورفض الكورتيس* البرتغالي اتفاق فدية الأمير مقابل الانسحاب من سبتة.[8]

7- الناصري أحمد بن خالد، كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى الجزء 4 ص 295 منشورات وزارة الثقافة والاتصال 2001.

*- مجلس النبلاء، بمثابة برلمان.

8- Tanger et sa Zone pp 58

وفي عهد الملك الفونس الخامس قام البرتغاليون بحملة جديدة فاشلة سنة 862هـ/1458 مدعومين بأسطول حربي مكون من 80 قطعة تحمل 1700 مقاتل، ما لبثت قطعه أن غيرت وجهتها نحو قصر المجاز[9] وبعد ست سنوات 68ـ869هـ/1464م، هوجمت المدينة برا وبحرا مرة أخرى من طرف البرتغاليين، إلا أنهم سرعان ما انسحبوا بعد أن انقض عليهم المجاهدون المغاربة من جهة، وضربت سفنهم عاصفة بحرية قوية من جهة ثانية، وتكسرت محاولاتهم على صخرة استبسال سكان طنجة في الدفاع عن مدينتهم بقيادة صالح بن صالح[10]، الذي سبق له دافع عن مدينة سبتة قبيل سقوطها في يد الاحتلال، فما كان من الملك البرتغالي إلا أن فر من أمام ضربات المجاهدين، بما تبقى بين يديه من الرجال والسفن.

ورغم الخسائر الكبيرة التي تكبدها البرتغاليون خلال محاولاتهم المتكررة لاحتلال طنجة إلا أنهم صمموا على هدفهم المتمثل في إتمام سيطرة المسيحيين على مضيق جبل طارق وفي هذا الإطار يقول مارمول أن الأمير البرتغالي الأسير (دون فيرناندو) فضل " أن يموت في الأسر على أن يرى

9- الاستقصا ج 4 ص 296

10- تصمت المصادر المغربية عن ذكر اسم هذه الشخصية ربما لكون اسم صالح بن صالح هو الاسم الحركي لقائد الحركة الجهادية الشعبية بالشمال فقد تردد في المصادر اللاتينية على أنه قاد الجهاد ضد البرتغاليين قبيل احتلالهم لسبتة كما قاد حملة الدفاع عن طنجة ولازال بيت بن صالح قائما إلى اليوم بطنجة.

المسيحية تفقد مفتاح المضيق"[11] وهو افتراض بعيد كل البعد عن الصحة، لا يوجد سوى في مخيلة مارمول في محاولة منه لإضفاء الصفة البطولية والأسطورية على الأمير، لأن هذا الأخير هو من عقد صفقة اقترح فيها إخلاء سبتة مقابل تحريره، مباشرة بعد أن سقط أسيرا في يد المجاهدين.

انطلاقا من أصيلا[12] بدأ البرتغاليون يتتبعون أخبار طنجة وساكنتها، رغم الامتياز العسكري والاستراتيجي، لم يتجرأ الملك البرتغالي على قيادة حملة احتلال طنجة بنفسه، لما تحمله ذاكرته من بطولات واستبسال سكانها، فأرسل حملة عسكرية للاستيلاء عليها بقيادة ابن دوق دي براكانس، ثم ما لبث أن لحق به، بعد أن أيقن بضعف المقاومة، يقول مارمول" ثم انتقل إليها بعد ذلك ليشاهد فتحه الجديد، وقد كان أكثر ارتياحا لو أحرزه بالسيف انتقاما لجميع الاهانات"[13] والانهزامات التي سبق أن تكبدها البرتغاليين على أسوار وأبواب طنجة، قبل هذا التاريخ، قتل خلالها عدد كبير من فرسان ونبلاء البرتغال من طرف المجاهدين.

11- مارمول ص 209

12- سقطت أصيلا في يد البرتغاليين في 7 ربيع الأول 876هـ الموافق 24 غشت 1471م.

13- مارمول ص 210

احتلال طنجة:

بمجرد احتلال البرتغاليين لأصيلا في 7 ربيع الأول 876هـ/24 غشت 1471م، اتخذوها نقطة انطلاق للسيطرة على طنجة من البر الجنوبي، خاصة وأنهم يسيطرون على البر الشرقي من جهة القصر الصغير (قصر المجاز) ويتفوقون في المجال البحري (شمالا وغربا)، وبالفعل وأمام هذه المعطيات الميدانية، نزل الخبر على أهالي طنجة مدويا، وأدركوا خطورة الموقف خاصة وأنهم يعلمون جيدا أن ملك فاس الوطاسي كان غير قادر على مآزرتهم، لما كانت عليه السلطة المركزية بفاس من حالة ضعف شديد، وبعد نقاش وأخذ ورد، بين متحمسين للجهاد وبين عقلاء يقدرون الأحداث حق قدرها تم الاتفاق على إخلاء المدينة "وأخذوا كل ما أمكنهم أن يأخذوه وكسروا الباقي لئلا يستعمله العدو"[14] ثم يذكر الحسن الوزان أنهم أي سكان طنجة بعد أن " بلغهم الخبر أخذ كل واحد منهم أثمن ما يملك وغادر المدينة ملتجئا إلى فاس ".[15]

فأخذ السكان في الجلاء، وكان قرار هجر وإفراغ المدينة صعبا، ولكنه ظل أسلم الحلول لنجاة المدنيين من نساء وأطفال وعجزة، وبالفعل وكما كان متوقعا، بعد أربعة أيام من احتلال أصيلا وبالضبط في 11 ربيع الأول

14- مارمول ص 210

15- الحسن الوزان وصف افريقيا ص 313

876هـ[16] /28 غشت 1471م، جهز ملك البرتغال حملة عسكرية استطلاعية، تمكنت من دخول المدينة دون قتال، حسب رواية مارمول المشكوك في صحتها، وهو الخبر الذي يصعب تصديقه، على متتبع أخبار طنجة ونضال رجالاتها الأشاوس خلال هذه المرحلة.

كان لحدث احتلال طنجة وقع خاص في نفوس الايبيريين عامة فقد ذكر مارمول أن مواكب البهجة والفرح والاحتفال نظمت " عبر الأندلس كلها ومملكة غرناطة في سائر أرجاء قشتالة والبرتغال"[17]

أما ملك البرتغال فقد انتقل بسرعة من أصيلا إلى طنجة بعد أن بلغه خبر احتلالها، ومنها أرسل الخبر" السار" إلى الملوك المسيحيين والى البابا وبعد ذلك تلقب ملوك البرتغال منذئذ "بملوك مادون البحر وما وراءه"[18]

16- تضاربت المصادر المغربية في ذكر تاريخ الاحتلال؛ يذكر أبي حامد الفاسي صاحب مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن في الصفحة 81 من الكتاب أنها أخذت سنة 841هـ والظاهر أنه بذلك قد أرخ للحملة الأولى الفاشلة التي لم تحقق هدفها، ويذكر الاستاذ احمد العماري في تحقيقه للضعيف ص67 اعتمادا على الناصري في الاستقصا ج4 ص 298 أن البرتغاليين استولوا عليها سنة 869هـ وهو تاريخ الحملة الثانية الفاشلة في حين أن المدينة لم تسقط إلا سنة 876هـ بعد أن استنفذ أهلها كل امكاناتهم الدفاعية.

17- مارمول ص 211

18- مارمول ص 210

بعد هذه الفاجعة، عاش سكان طنجة الشتات، وتفرقوا في أرض الله الواسعة ، فمنهم من ذهب الى مدن أخرى بعيدة، يذكر الوزان " سقطت أصيلا وعندما بلغهم (سكان طنجة) الخبر أخذ كل واحد منهم أثمن ما يملك وغادر المدينة ملتجئا إلى فاس"[19] وهذه الفئة التي ذكرها الوزان ربما تهم مجموعة من العائلات اليهودية، ونبني هذا الافتراض على ما عثرنا عليه من إشارات في وثائق متناثرة في الحوالة تشير إلى أن أسرا يهودية عادت من مكناس وفاس إلى طنجة بعد تحريرها، في حين أن العائلات المسلمة غالبا ما لجأت الى قبائل الجبال المجاورة؛ الأخماس وغمارة وبني مسارة واغزاوة ... إيمانا منها بأن عودتها حتمية إلى طنجة الأسيرة، عاجلا أو آجلا، وهناك اهتم أفرادها المتعلمين منهم خاصة، بنشر الدعوة والعلوم الدينية، فأضحت بوادي وقرى هذه الجبال[20] كعبة علمية تزخر برجال الفقه والعلوم الدينية.

وأقف في هذا الإطار على ما ذكره صاحب مرآة المحاسن[21] في حق الشيخ عبد الله بن محمد الهبطي الطنجي الذي "كان سلفه بها (طنجة) وخرجوا حين أخذت... وهو من أكابر أهل العلم والعرفان، ورفعة القدر

19- الوزان ص 314

20- انظر عبد السلام البكاري الاشارة والبشارة في تاريخ وأعلام بني مسارة ص169 الى 278 دار النشر المغربية البيضاء 1984.

21- أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني منشورات رابطة أبي المحاسن ص81.

الواضحة البرهان"[22] كان أهله قد نزلوا ببلاد غمارة " كانت تلك الجبال التي كان بها، كثيرة الجهل وشرب الخمر وغير ذلك من المناكر"[23] وتجند الى جانب دعاة وعلماء آخرين نذروا أنفسهم لتعليم مبادئ الإسلام في هذه المناطق النائية " فبذل الوسع في تعليم التوحيد، وتقرير العقائد وتغيير المناكر ...فنفع الله به نفعا عظيما هدى به عالما لا يحصى، وحسن حال البلاد وأهلها"[24] فانتشرت على غرار أسرة الشيخ الهبطي العائلات الطنجية والأندلسية في القبائل الجبلية، ولازالت بعض الأسماء الأندلسية حاضرة الى يومنا هذا في قبائل جبالة ففي قبيلة رهونة يوجد لقب الايبوري[25] وفي قبيلة بني مسارة يوجد لقب اغزييل... وهي أمثلة على سبيل الإشارة فقط تناولته بالتفصيل عدة دراسات[26].

بعد هذا الحدث الجلل، والنكبة العظمى التي عاشتها مدينة طنجة، أختفت أخبار المدينة عن الحضور في المصادر التاريخية المغربية، خاصة بعد

22- مرآة المحاسن نفس المصدر والصفحة

23- مرآة المحاسن نفس المصدر والصفحة

24- مرآة المحاسن نفس المصدر والصفحة

25- الايبوري او اليابوري ينتسب الى مدينة ايبورا على الحدود الاسبانية البرتغالية.

26- انظر ابن عزوز حكيم "الموريسكيون في المغرب "شفشاون 23-21 شتنبر 2000م)، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 2001، ص 95 وكذا " الأسر الأندلسية التي استقرت بشمال المغرب، ضمن كتابه :أطلس مأساة الأندلس 1609- 1493م شفشاون، 2002، ص163-81 .
مقال للأستاذ رشيد العفاقي "الأندلسيون في بلاد جبالة وبلاد الهبط" مجلة التاريخ العربي،العدد 58، ص. 253..

أن دخلها البرتغاليون وعمدوا إلى تخريب مساجدها، ومرافقها التعليمية والدينية، وأقاموا كنانسهم مكانها، واجتهدوا في محو الآثار والمعالم الإسلامية، وبذلك شكلت المرحلة الممتدة ما بين سنة احتلال المدينة 876هـ/1471م وسنة تحريرها 1095هـ/1684م شرخا في التاريخ الاسلامي الحديث للمدينة.

بعد الاستيلاء على المدينة عمد البرتغاليون إلى تخريب مساجدها، وأقاموا كنانسهم مكانها، وانمحت بذلك آثار طنجة الإسلامية. ولما آل التاج البرتغالي الى الملك الإسباني فليب الثاني بعد انهيار الدولة البرتغالية نهائيا إثر معركة وادي المخازن سنة 986هـ/1578م ومقتل ملك البرتغال سبستيان، صارت طنجة تحت السيطرة الاسبانية، واستمرت كذلك أزيد من ستين سنة (من 1578م الى 1640م)، ثم عاد البرتغاليون إليها من جديد، وفي سنة 1661م، دخلها الأنجليز، بعد ما قدمها البرتغاليون للملك الأنجليزي شارل الثاني، في جملة ما دفعوه له كصداق زواجه بالأميرة البرتغالية كاترين دي براكانس، ابنة الملك جان الرابع البرتغالي، وبعد سيطرتهم عليها قام الأنجليز بتخريب الكنائس البرتغالية[27]، وقضوا على كل المظاهر الكاثوليكية بالمدينة، بدافع الاختلاف

27- Tanger et sa zone volume VII éditions Erneste Leroux Paris 1921 P70

*. مذهب ديني خرجت بمقتضاه الملكية الإنجليزية عن الكنيسة الكاثوليكية في عهد الملك هنري الثامن 1509ـ1547 على إثر الخلاف الذي نشب بينه والبابا بروما حول تطليق زوجته كاترين أراكون، ويقوم هذا المذهب على التوفيق بين مختلف التيارات المعروفة: كتعاليم الكاثوليكية والبروتستانتية، ويتميز بكون الملك هو رئيس الكنيسة الأعلى.

العقائدي (الأنجليكاني* ≠ الكاثوليكي)، ولم يتركوا من أصل سبع عشرة كنيسة برتغالية[28] سوى واحدة[29]،

واستمرت تحت حكمهم إلى أن أخرجهم منها السلطان العلوي المولى إسماعيل؛ الذي جند جيش المجاهدين (رحى الريف)[30]، لمهمة حصار وتحرير المدينة، بقيادة المجاهد علي بن عبد الله الريفي بتاريخ 1095هـ/1684م.

ـ تحرير ثغر طنجة:

تذكر المصادر أن "قبيل طرد الأنجليز من طنجة، وبالضبط سنة 1676 ارتفع عدد السكان المدنيين بالمدينة، الى 700 شخص، منهم 514 أنجليزي 51 يهودي 5 مسلمون و130 أجنبي"[31] يعني أن عدد السكان المدنيين كانوا قبل هذا التاريخ أقل من العدد المذكور، وتصمت المصادر عن عدد أفراد الحامية العسكرية، التي يبدوا أنه كان يتغير حسب الحاجة، فهجومات

28- id P 68

29- عبد السلام شقور المسجد الأعظم بمدينة طنجة وخزانته العلمية دعوة الحق العددان 309-310 ذو القعدة- ذو الحجة 1415/ أبريل- مايو 1995

30- نظم مولاي إسماعيل الجيش المغربي تنظيما فريدا، وقسمه إلى قسمين: جيش العبيد (البوانخر) والجيش الأبيض الذي يتألف من أربعة أرحاء: رحى سوس، ورحى المغافرة، ورحى لوداية، ورحى الريف، وكان يطلق على الجميع اسم لوداية تغليبا. انظر أطروحة الجيش المغربي وتطوره في القرن 19 لثريا برادة ص 64 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1997.

31- Tanger et sa zone volume VII éditions Erneste Leroux Paris 1921 p78

المقاومين على المدينة لم تتوقف، وازدادت أواخر القرن 11هـ/17م، فأثمرت الحركات الجهادية والحصار المستمر، فتح طنجة، ففي " سنة خمس وتسعين وألف (1095هـ/1684م). بعد أن عقد السلطان المولى إسماعيل - رحمه الله- للقائد أبي الحسن علي بن عبد الله الريفي على جيش المجاهدين[32]، ووجهه لحصار طنجة، فضيقوا على من بها من النصارى، وطاولوهم إلى أن ركبوا سفنهم وهربوا في البحر وتركوها خاوية على عروشها"[33].

هبت على المدينة رياح التغيير، التي مست ديمغرافيتها وعمرانها وكل مجالات الحياة المدنية والسياسية والعسكرية، تحت نفوذ سادات المدينة الجدد؛ السلطان العلوي المولى إسماعيل وقائده على المدينة المحررة، المجاهد علي بن عبد الله الريفي، هذا الأخير، وتنفيذا لتوجيهات السلطان، هو الذي سهر على تجديد عمرانها، وتوسيع مرافقها، وتعزيز تحصيناتها، خاصة وأن الأنجليز قبيل مغادرتها عاثوا فيها فسادا وتخريبا.

بعد تحريرها تحولت طنجة إلى قاعدة جهادية لإنطلاق حملات تحرير الثغور التي لازالت محتلة من طرف الايبيريين، فتزايدت أهمية المدينة، وتجدد

32- بلغ عدد جيش مجاهدي الريف أيام القايد علي بن عبد الله وابنه الباشا أحمد من حوالي 3600 مقاتل منهم 2400 فارس و500 طبجي و700 بحار انظر طنجة وقلواحيها لميشو بلير ص 94.

33- الناصري الاستقصا مصدر سابق الجزء السادس ص 92.

بذلك رونقها، وتألقت بهجتها في بلاد جبالة والهبط، وخرجت من النفق المظلم، والاحتلال الغاشم الذي خضعت له لمدة تجاوزت القرنين من الزمن.

شكل السكان من ذوي الأصول الريفية نسبة 85%[34] من مجموع ساكنة طنجة، أواخر القرن 17 ومطلع القرن 18، وذوي الأصول الجبلية وباقي الأمازيغ نسبة 9%، وذوي الأصول العربية 6%، وأمام هذه المعطيات والنسب* لذوي الأصول الريفية والجبلية والعربية، فإن فحص طنجة شكل مجالا خصبا للاختلاط العرقي بين أصول قبلية متنوعة ينذر تواجدها في قبيلة أخرى.

مباشرة بعد الفتح توافدت على طنجة عناصر بشرية جديدة، لتلتحق بأبناء عمومتها الفاتحين من أهل الريف وسوس والعبيد[35]، فتشكلت تجمعات بشرية من هؤلاء الوافدين الجدد في مداشر بني واسين ودرادب وجامع المقراع وبوخشخاش... حول المدينة ومن القبائل الريفية التي توافدت عناصرها على

34- Tanger et sa zone volume VII éditions Erneste Leroux 1921 p361

*- هذه النسب التي اعتمدها ميشو بلير لا ترتكز على دراسات علمية دقيقة بل مجرد تخمينات تقريبية مبنية على الروايات الشفوية التي كان أعضاء البعثة العلمية الاستعمارية الى المغرب مطلع القرن العشرين، يلهثون وراءها، من أجل إغناء دراساتهم السوسيولوجية.

35- تم إنزال العبيد بأمر مخزني بطنجة ما بين 1766 و1778 ولازالت بصماتهم العرقية حاضرة في أحد مداشر الغربية إلى اليوم.

فحص طنجة [36] نذكر: تامسمان، بني ورياغل، بني توزين، بني يطفت، بني بوفراح، كزناية، بقيوة، وقلعية ...

فمجموعة من الأسماء العائلية الطنجية، ورد ذكرها في حوالة الأحباس متأخرا، إلى حدود الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وذلك ربما لارتباطها بالمجال القروي في قبيلة الأنجرة والقبائل المجاورة التي كانت جبالها منارة تشع بنور العلم ومجالا خصبا للزراعة.

قيادة طنجة من الأصول إلى الفروع خلال القرن 18م:

من البيوتات المشهورة بالقيادة في قبيلة تامسمان خلال القرن السابع عشر الميلادي بيت أولاد الدوحو وهو بيت عز وجهاد بالقبيلة، هذه الأخيرة التي اتخذت موطنا لها أرضا ساحلية عالية ترابط عليها لمراقبة السواحل، استثمرت قوتها البشرية وخبرتها الجهادية منذ القديم، وعند انطلاق الحركة العلوية انخرطت مع قبائل المنطقة في دعم السلطة المركزية، فقام السلطان المولى إسماعيل بتقسيم المجاهدين منهم إلى قسمين: ـ المجموعة الأولى وهي فئة قلية العدد أنزلها السلطان بزرهون، بعد أن قام بترميم وتأهيل مدينة مولاي إدريس الأكبر لحمايتها من هجمات القبائل المحيطة من عرب وبربر،

36-Tanger et sa zone p 361

وهذه الفئة تحمل إسم الوكيليين والداوديين[37] نسبة إلى الولي الصالح سيدي بوداوود وهو مزاحم أبي داوود[38] دفين النكور الذي خصه عبد الحق البادسي في مقصده بترجمة خاصة، وربطت ظهائر توقير سلطانية[39] سلمت للداوديين المقيمين ببوعسل بجبل زرهون، تؤكد تسببهم للولي المذكور. نتوفر على نسخ منها.

وهذا يدل على أن توظيف قبائل الريف في الحياة العسكرية والرباطات من طرف المولى إسماعيل كان حاضرا بقوة في السياسة الإسماعيلية، خاصة وأن الشخصيات القيادية لهذه القبائل عرفت بالصرامة والحزم والولاء للسلطة المركزية.

37- ذكر النقيب سيدي محمد الشبيهي الموقت في كتابه "الإطلالة الزهية على الأسرة الشبيهية" أن الداوديين النازلين بزرهون يعرفون بأولاد الدوحو.

38- البادسي عبد الحق بن إسماعيل "المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف" تحقيق سعيد أعراب المطبعة الملكية ص 51 الرباط 1982.

39- هذا نص أحد الظهائر المذكورة: الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما الخاتم الشريف

نأمر خدامنا الأرضين نظار أوقاف الزاوية الإدريسية حرسها الله بمنـه أن يسلكوا حملته المرابطين الداوديين القاطنين ببوعسل قرب الزاوية المذكورة وإخوانهم الذين بزرهون حفدة الولي الأكبر سيدي أبي داوود المزاحم دفين النكور على ما عهد لهم من التوقير والاحترام والمحاشات عما تطالب بهم العوام ورد زكاتهم وأعشارهم لضعفائهم حسبما بيدهم من ظهيرنا الشريف وظهائر أسلافنـا الكرام قدس الله أرواحهم في دار السلام وأن استوصوا بهم من الخير والاحسان ولا ترموهم بالزيادة ولا بالنقصان وردوا لهم كتابنا هذا يتمسكون به والسلام 02 صفر الخير عام 1322هـ.

ـ المجموعة الثانية وهي الأكثر عددا وقوة، وضعت نفسها رهن إشارة السلطان لتحرير الثغور المحتلة بقيادة عمار بن حدو البطيوي[40] توفي سنة 1681م، خلال حصاره للمهدية رفقة أخيه أحمد بن حدو وابن عمهما القائد علي بن عبد الله الدوحو قائد حملة فتح طنجة.

القائد المجاهد علي بن عبد الله:

ارتبط اسمه بصولاته وبطولاته ضد الجيش الأنجليزي المحتل على أبواب طنجة، إلى أن تحررت المدينة، وقد وصفته أغلب المصادر، التي عاصرت زمانه، بكونه رجلا صالحا، قام بالمهام الموكولة إليه أحسن قيام، وسار في الناس أحسن سيرة، وروى عنه محمد داوود عدة حكايات، تداولها أهل تطوان أيام نزوله بين ظهرانيهم، تدل على حزمه وعدله وكرمه وجهاده منها:

ـ "أمره السلطان المولى إسماعيل أن يجمع من أهالي تطوان قدرا مهما من المال ويأتيه به، فجمع حلي أولاده وملابسهم الزائدة على الحاجة وباع ذلك كله وجمع المال المتحصل من ذلك وأخذه للسلطان وقال له أنك أمرتني أن آخذ من الناس مالا بغير حق وذلك حرام لا يحل شرعا، وقد بعت

40- يذكر ابن خلدون أن شعب بطيوة ينتشر على أرض تمتد من وادي النكور الى نهر ملوية.

كسوة أولادي وجمعت لك المال المطلوب وها هو بين يديك متعك الله به، فرد السلطان له ماله ورضي عنه"[41] وقد نذهب إلى تصديق هذه الرواية، إذا علمنا مكانة هذا القائد العظيم لدى السلطان الذي " كان يشاوره... ويعمل برأيه"[42]، ووكله أمر قواد الريف والقصر والعرائش وطنجة وتطوان ومن في حكمهم وجعلهم تحت امره ونهيه، ومنحه المولى اسماعيل سلطات واسعة.

– "خرج يوما للنزهة في ناحية كيتان (بضواحي تطوان) فمر ببستان لفت نظره فيه فرع شجرة مدلى على الطريق وبه سفرجل غير عادي في كثرته وجودته فلما عاد من نزهته وجد السفرجل قد قطع فسأل عمن قطعه فقيل له أنه أحد أولاده فأتى به وقطع يده وقال لا يحق لنا أن نحكم الناس إن لم نحكم أنفسنا"[43] ومن صفاته أيضا أنه " كان يأمر العمال بالعدل وينهاهم عن الجور وأكل أموال الناس بالباطل"[44].

– لما بلغه أن الرجلين الصالحين سيدي الحاج علي البركة التطواني وسيدي أحمد بن عبد الله معن الفاسي موجودان في جبل العلم لزيارة (ضريح)

41- محمد داوود تاريخ تطوان القسم الأول من المجلد الثاني ص 44 الطبعة الثانية دار كريماديس تطوان المغرب.

42- نفس المرجع السابق و نفس الصفحة عن الدر المنتخب لابن الحاج.

43- نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

44- نفس المرجع السابق ونفس الصفحة عن الدر المنتخب لابن الحاج.

الشيخ عبد السلام بن مشيش، أرسل إليهما حمل دابة من الأطعمة والفواكه مما يدل على محبته لأهل العلم والصلاح".

ـ ساهم في قيادة فتح المهدية، والعرائش، وأصيلة وتولى قيادة حصار وفتح طنجة وبادس وقاد رباط جيش المجاهدين على أطراف سبتة خلال حصارها الطويل منذ 1106هـ/1694م[45] الى أن وافته المنية بطنجة عشاء ليلة الثلاثاء 6 شعبان 1125هـ/28 غشت 1713م.

ومن الألقاب التي سجلها عدول طنجة على وثائق الحوالة الحبسية في حق هذه الشخصية التي طبعت تاريخ طنجة بطابع خاص: المجاهد ـ القائد ـ التمسماني ـ الحمامي ـ الريفي، وبعد وفاته أضافت بعض الوثائق عبارة "قدس الله روحه".

تمتع القايد علي بن عبد الله بسلطات واسعة؛ يولي ويعزل في منطقة قيادته الشمالية باسم السلطان المولى إسماعيل وهذا مقتطف من مرسوم أصدره لتولية أمين بيت المال (أبو المواريث) تطوان يبرز بعض السلطات التي كان يحظى بها: "الحمد لله وحد وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم

45- الاستقصا مصدر سابق الجزء السادس ص 106.

من فضل الله سبحانه وبركة سيدنا أيده الله ونصره يستقر مسطورنا بيد ماسكه ... ليعلم الواقف عليه من أصحابنا ومن الى نظرنا من المدائن والقرى والمداشر والبوادي والحواضر أننا وليناه خطة المواريث وما يلحق بها ويندرج تحتها ... وفوضنا له بأتم تفويض وأكمله في أعمال الصلح ... وعليه في ذلك كله بتقوى الله العظيم ... وأن ينهج عمله نهج الشرع القويم أخلده الله ... بثامن ربيع النبوي عام ثلاثة عشر ومائة وألف. كتبه خديم المقام العلي بالله علي بن عبد الله الحمامي رعاه الله.»[46]

الباشا أحمد بن علي:

بعد وفاة القائد علي بن عبد الله الريفي" قائد السلطان على بلاد الفحص وغمارة والريف ولى السلطان مكانه ابنه الباشا أحمد بن علي الريفي ... واستولى على جميع ما كان بيد أبيه...»[47] وقد عرف الباشا الجديد بدهائه وطموحه الكبيرين، بشهادة كل من عرفه وعاشره، أو تعامل معه.

وبعد وفاة السلطان إسماعيل، شقت تطوان عصا الطاعة على الباشا أحمد « بعد أن استغل الأراضي وفرض على الناس ضرائب وغرامات ليحافظ

46- محمد داوود تاريخ تطوان القسم الأول المجلد الثاني ص 33

47- الضعيف محمد الرباطي، تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة) ص 96 تحقيق وتعليق وتقديم الأستاذ أحمد العماري دار المأثورات الرباط.

على مظاهر حكمه وسطوته، وتسديد المصاريف اللاّزمة لجيشه ... ولدفع المبالغ العظيمة التي كان ملزماً بتقديمها من حين لآخر للسلطان، وكان حظ تطوان من تلك الضرائب ثقيلاً جداً لم يعهدو (أهل تطوان) له مثيلاً »[48].

وفي سنة 1140هـ أغارت القبائل الجبلية على القبائل الموالية للباشا، فجند جيشا و"استولى على جبال بني مصور الى القصر..."[49] ودعا أهل تطوان للوقوف بجانبه ضد الثوار، غير أنهم رفضوا، فأعلنوا ثورتهم وسخطهم عليه، فعمدوا إلى قصره فهدموه. فقام في " ربيع الأول (من نفس السنة) ... الى مدينة تطوان ونهبوها... ورجع إليها في جمادى الثانية"[50] فقد تمكن من اقتحام أسوار المدينة والفتك بأشرافها وبأهلها، وبفضل انشغال الجنود بجمع الغنائم وأعمال النهب استطاع أهل تطوان استعادة تنظيمهم، واضطر الباشا أن يتراجع عن تطوان، بعد أن رأى أنه لا يستطيع أن يفعل أي شيء بدون مدفع[51].

48- تاريخ تطوان ص 46.

49- الضعيف مصدر سابق ص 106

50- الضعيف ص مصدر سابق 106

51- أورد صاحب تاريخ تطوان 2: 115 تفاصيل رواية البعثة الأنجليزية التي كانت بتطوان خلال هذا الهجوم.

حاول الباشا أحمد أن يتقرّب إلى السلطان عبد الله، حتى يكسب عنده الحظوة ويأخذ منه التأييد للعودة إلى غزو تطوان مرة أخرى، لكن يظهر أن السلطان الجديد كان يدرك خطر القواد الكبار، أمثال الباشا أحمد، على السلطة المركزية للسلطان زمن الاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي.

ولما قام البواخر بعزل السلطان محمد بن إسماعيل ومبايعة السلطان المستضيء بن إسماعيل، ثم ما لبثوا أن خلعوه وولي بعده السلطان عبد الله مرة أخرى، لجأ (المستضيء) إلى الباشا أحمد بطنجة، وصاهره[52] عام 1155/1742 (بزواجه من بنت الباشا)، فوجد هذا الأخير الفرصة مواتية لتحقيق طموحه الجامح.

عمل الباشا أحمد الداعم الأول للمستضيء على تحريض أهالي القبائل التابعة له ضد السلطان عبد الله، ونجح في عزله، لكن هذا الأخير استقطب قبائل البربر، فزحف بجيش كبير منهم على مكناس، فر أمامه المستضيء، وتهيأ، لقتال أخيه بنواحي فاس، وهُزم بمعية حليفه الباشا أحمد الذي لم يهدأ له بال عقب هذه الهزيمة، فقصد طنجة لتجهيز حملة جديدة على السلطان، وكانت المعركة الفاصلة في ناحية القصر الكبير عام 1156هـ/26 يوليوز

52- الضعيف مصدر سابق ص 141

1743م[53] وفيها قتل الباشا، ودفن بالقصر الكبير بعد أن قُطع رأسه، وعُلق فوق باب المحروق بفاس.

سكان طنجة بعيد نكبة الباشا أحمد:

وصل جرحى الجيش المنهزم، إلى أبواب طنجة، يحملون خبر الشؤم إلى أطفال ونساء وعجزة سكان المدينة، التي كانت قد عبأت كل طاقاتها البشرية والمادية لهذه الحركة، نزل الخبر كالصاعقة، فأحس سكان طنجة الخطر بعد هزيمة جيشهم أمام جيش السلطان المولى عبدالله المدعوم بقبائل البربر والعبيد، فلم تكن الخيارات كثيرة أمامهم، عندما وصلت الجيوش المنتصرة إلى مشارف المدينة، سوى اللجوء إلى السلطان المولى عبدالله "خرج إليه رجالها يحملون المصاحف على رؤوسهم والصبيان يحملون الألواح بين أيديهم مستشفعين تائبين، فعفا عنهم إلا من كان من بطانة أحمد الريفي"[54] فدخل السلطان طنجة وأمر بالاحتياط على دار الريفي ومتاعه ثم تتبع حاشيته من عمال وكتاب وغيرهم ممن كان له به اتصال ويصف الناصري سيطرة المولى عبد الله على طنجة وخزائنها "من باب الظفر بالكنوز القارونية"[55]، وقفل راجعا إلى فاس بعد

53-Tanger et sa zone volume VII éditions Erneste Leroux 1921 p91

54- الاستقصا مصدر سابق ج6 ص 194

55- الاستقصا نفس الجزء والصفحة.

أن ولى على المدينة عبد الكريم بن علي بن عبد الله الريفي – أخ الباشا أحمد –
الذي تمكن منه المولى المستضيء* لاحقا فسجنه وسمله وأخذ ماله.[56]

ثم تولى قيادة طنجة عبد الصادق بن أحمد بن علي، ثم محمد بن عبد الملك[57] هذا الأخير تحمل مسؤوليات دبلوماسية[58] فقد ذهب ضمن السفارة المغربية التي بعثها السلطان محمد بن عبد الله إلى فيينا.

56- الاستقصا مصدر سابق ج6 ص 217

57- القايد محمد بن عبد الملك هو حفيد القايد أحمد بن حدو أخ القايد عمار بن حدو، قائد فتح المهدية، من أبناء عمومة القايد علي بن عبد الله بن دحو.

58-Tanger et sa zone pp196 .



صورة الباشا محمد بن عبد المالك 1766-1770 (59)

59- Tanger et sa zone pp 96/97 الصورة مأخوذة من كتاب

وخلال تدبير هذا البيت للشأن المحلي تمتع سكان طنجة بنوع من الرفاهية، رغم النكبات المتتالية، التي يبدوا أنها كانت عادية لا تهد من همم الناس، تجلت من خلال ما سجلته وثائق الأحباس من معاملات مختلفة كالتحبيس لفائدة المؤسسات ذات النفع العام من أجل ديمومة نفعها وخدماتها، وازدادت نسبة التحبيس خلال السنوات العجاف وعند الكوارث والأوبئة، التي كانت تتردد على المغرب بشكل دوري، وهذا في نظرنا يعود إلى اللحمة الاجتماعية التي كانت تجمع سكان المدينة على اختلاف انتماءاتهم القبلية.

قادة المخزن بطنجة خلال القرن 18م

ورد ذكر جل قواد المخزن في الحوالة الحبسية، كل واحد في سياق معين، سهروا على تنفيذ أوامر السلطة المركزية، فالقايد علي بن عبد الله عمل على تجديد أحباس الجامع الكبير مباشرة بعد فتح المدينة، وشجع عامة الناس إناثا وذكورا، ومساعديه المقربين خاصة على نشر ثقافة التحبيس على المرافق العامة، من أجل دوام خدمتها ومنفعتها.

إلا أن قوادا آخرين لاحقين استغلوا مناصبهم للاغتناء، وسخروا نظارا لاقتناء أملاك وعقارات لفائدتهم باسم الأحباس، من أجل اقتنائها بثمن مناسب أو رخيص، وبالتالي راكموا ثروات قارونية على حساب حاجة المستضعفين.

غير أنهم سرعان ما كانوا يتعرضون لنكبات متتالية، فالباشا أحمد جز رأسه وعلق على باب المحروق بفاس، وعبد الكريم بن علي سملت عيناه وصودرت أملاكه، وعبد الصادق مات في السجن بمكناس وصودرت أملاكه ومحمد بن عبد المالك رحلت قواته الى المهدية، والشيخ البخاري تم ترحيله وجيشه من طنجة، فكانت هذه النكبات بمثابة ضريبة مسؤولية القيادة...

ولائحة قواد طنجة خلال القرن 18 من خلال وثائق الحوالة الحبسية هي كالتالي:

علي بن عبد الله .... 1684 – 1713

الباشا أحمد بن علي .... 1713 – 1743

عبد الكريم بن علي.. 1743 – 1748

عبد الصادق بن أحمد.. 1748 – 1766

محمد بن عبد المالك.. 1766 – 1770

الشيخ البخاري قائد العبيد بطنجة .... 1766 – 1777

محمد بن علي الحيحي كاتب السلطان.. 1770 – 1778

محمد بن عبد المالك (مرة أخرى).. 1778 – 1784

سي ملوك بن محمد بن عبد المالك.. 1784 – 1790

المولى مسلمة (أخ السلطان مولاي اليزيد)

الطاهر فنيش السلاوي[60] .... 1790 – 1799

أحمد بن عبد المالك.. 1792

مولاي الطيب بن محمد بن عبد الله(أخ السلطان) قاد مواجهة الثائر زيطان الخمسي[61]

عبد الله بن عبد المالك (عبو) .... 1797 (سنتين).

60- هو الطاهر بن عبد الحق فنيش؛ رئيسا بحريا ماهرا، تقلد أيام سيدي محمد بن عبد الله مهام كبرى؛ كرئاسة المراكب المخزنية بأسرها، وباشادور (سفير) لمقابلة ملك فرنسا لويس السادس عشر، قاد مفاوضات تحرير أسرى المسلمين بمالطا ... توفي يوم خامس محرم سنة 1215هـ/1800م خلال حملة المولى سليمان على البربر. انظر كتاب: جان كوسني وأبو القاسم عشاش بيوتات مدينة سلا تحقيق وتعليق نجاة المريني ص117 منشورات الخزانة العلمية الصبيحية 1989 سلا المغرب.

61- ثار بقبيلة الأخماس من جبال غمارة سنة 1208هـ مُحَمَّد بن عبد السَّلام زيطان فبعث إليه السلطان بجيش تحت قيادة أخيه مولاي الطيب وأنزله طنجة فحارب قبائل الفحص إلى أن استكانوا، ثم حارب أهل حوز طنجة واصيلا من بني ايدر والاخماس من أصحاب زيطان فكانت الحرب بينهم سجالا، ولما دخلت سنة 1209هـ أمد السلطان أخاه المولى الطيب بجيش وافاه بطنجة فخرج منها ومعه عسكرها وعسكر العرائش ... ففر الثائر زيطان إلى قبيلته بالأخماس وتسللت عنه القبائل التي كانت ملتفة حوله واستنزله المولى الطيب بالأمان، وبعث به الى السلطان فأمضى له الأمان وولاه على قبيلته. (عن الناصري)

بعض عدول طنجة الواردة أسماؤهم بوثائق الحوالة الحبسية:

بعض الأسماء العائلية التي اشتغلت بمهنة العدول نذكر على سبيل المثال لا الحصر: الشواط، الفلوس، بن عزوز، الزايدي، المونن، الخصاوي، العبد الرزاقي، اللغميش، اليعقوبي، بن عبد الرزاق، السفياني، الوارايني، أزياد، السعيدي.

- العدل عبد الواحد الشواط .... 1152هـ/1739م .... ص 316
- العدل علي بن محمد الفلوس... 20 جمادى الأولى1162هـ/1748م.. ص339
- العدل محمد بالعربي بن عزوز. 1165هـ/1751م .... ص 316
- العدل محمد بن عبدالله الزايدي.1183هـ/1769م .... ص 304
- العدل محمد بن عبد الله المونن.1 شعبان 1185هـ/1771م......... ص 255
- العدل عيسى بن علي الخصاوي.1 شعبان 1185هـ/1771م.........ص 255
- العدل عبد القادر بن محمد العبد الرزاقي... 1206هـ/1791م ..... ص 255
- العدل عبد الفاضل بن الطاهر اللغميش.... 1206هـ/1791م..... ص 28
- العدل محمد بن علي اليعقوبي............ 1206هـ/1791م ..... ص 255
- العدل العربي بن عبد الرزاق............ 1206هـ/1791م...... ص 255
- العدل محمد السفياني................ 1206هـ/1791م...... ص 255
- العدل أحمد بن ادريس الوارايني .... 1207هـ/1792م ......ص 26
- العدل المهدي بن محمد أزياد ....1207هـ/1792م ......ص 26
- العدل أحمد بن ادريس.......11 ذي القعدة 1207هـ/1792م.... ص 19
- العدل عبد القادر بن عبد الكريم العبدالرزاقي.19 جمادى الثانية 1208هـ/ 1793م ... ص 19
- العدل عبد الرحمان بن أحمد.............1804/1219............ ص 54
- العدل الطيب بن الطاهر السعيدي........ 1219هـ /1804م...... ص 54

بعض نظار الأحباس بطنجة، الواردة أسماؤهم بوثائق الحوالة الحبسية:

من بين الأسماء العائلية التي تولت مسؤولية النظارة: بن عمر، الحمامي، السوسي، التمسماني، الإيدري، التوزيني، اللغميش، أوسدهم، اليازيدي، الكرايشي، أقلعي، العمارتي...

الترتيب الزمني لتولي مسؤولية النظارة بطنجة:

- 30 رمضان 1134هـ/1721م الناظر أحمد أوزايد (ص319)
- 1208 هـ/1793م الناظر محمد بن عمر
- 2 رجب 1746/1159 القائد عبد العزيز بن محمد الحمامي ناظر أحباس مسجد سيدي بوشتى بالقصبة (ص 287).
- 23 جمادى الثانية 1748/1162 الناظر عزوز العمارتي (ص 303)
- 1757/1171 الناظر احمد بن محمد السوسي (ص 304)
- 13 جمادى الأخيرة عام 1184هـ/1770م ناظر أحباس طنجة السيد أحمد بن محمد السوسي.
- 21 شعبان 1791/1206 الناظرسي محمد بن دينار التمسماني(ص 254)
- 1779/1193 محمد بن موسى الإيدري ناظر الحزابة (ص 359)
- 2 ذي الحجة 1791/1206 عبد القادر بن محمد بن فارس التوزاني(ص 16)
- 25 ذي القعدة 1791/1206 عبد الفاضل بن الطاهر اللغميش (ص 28)
- 11 ذي القعدة 1792/1207 الطاهر بن محمد اللغميش (ص 19)
- 28 قعدة عام 1216 هـ/1801م ناظر أحباس طنجة السيد عمر أوسدهم
- 1804/1219 الناظر الطيب اليازيدي (ص167)
- 2 جمادى 1804/1219 ناظر زاوية سيدى بوستة سي محمد بن عمر الكرايشي (ص 37)
- 2 جمادى 1804/1219 ناظر احباس الزاوية التهامية احمد بنعلي أقلعي (ص37)
- 15 شوال 1226هـ/1811م الناظر الطيب بن الحاج العياشي الزايدي (ص239)

بعض قضاة طنجة خلال القرن الثامن عشر:

- القاضي سي أحمد بن محمد الشريف 1 رجب 1739/1152 (ص 315).

- القاضي محمد العبد السلامي 1748/1162 (ص 320)

- قاضي طنجة العلامة النحرير الوالي الصالح الأكبر سيدي عبد الرحمان المفرج 1790/1205 (ص 239)

- العلامة البركة قاضي ثغر طنجة سيدي محمد التايدي ستة عشر ربيع الأول عام أربعة وثمانين ومائتين وألف 1284.

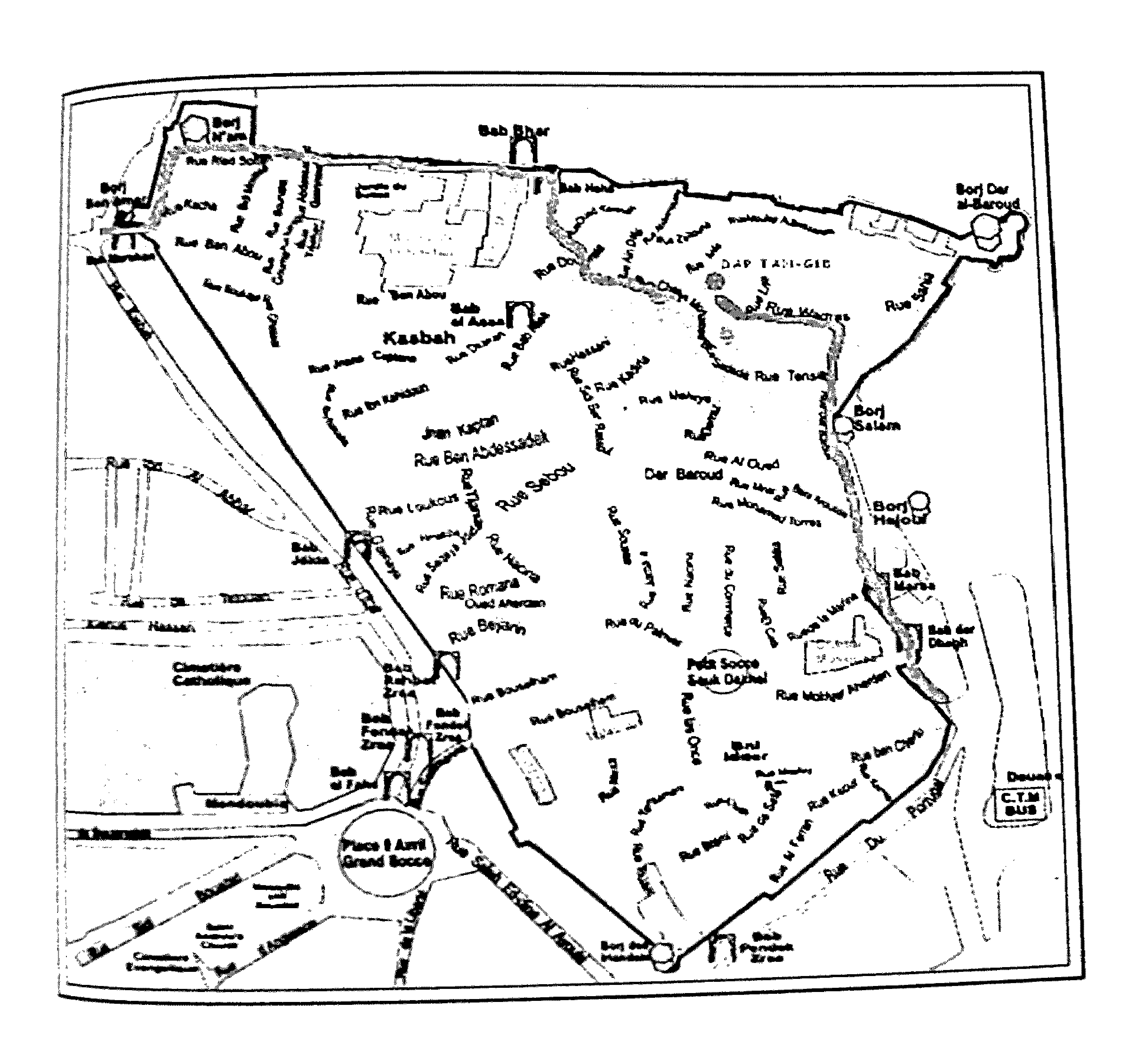
- الفقيه الأرضى الخير المرتضى سيدي أحمد بن سيدي عبد الرحمن المفرج ستة عشر ربيع الأول عام أربعة وثمانين ومائتين وألف 1284.

أحياء وحومات طنجة:

توزع سكان مدينة طنجة بعد تعميرها من طرف الفاتحين الجدد على عدة أحياء تتوزع على الشكل التالي:

- حومة دار البارود ص 20
- حومة أغمار
- أمراح
- جنان القبطان
- حومة كزناية 30 رمضان 1742/1155 ص 312
- درب الشرفا ص 22
- درب الواد ص 341
- درب البرج ص 61
- درب القاضي
- حومة سانية يالا ص 378
- حومة أخديم ص 377
- الدرب المدوار
- القيسارية التي أصبحت تعرف بالقيسارية القديمة فيما بعد.
- حومة بني يدر 15 شوال 1752/1166 ص 323
- حومة الطابية 15 صفر 1736/1149 ص 322
- حومة الزرموري 15 جمادى الاولى 1752/1166 ص 326
- حومة دار اليعقوبي ص 22
- النصبة 30 رجب 1768/1182 ص 359

خريطة أحياء و حومات طنجة خلال القرن الثامن عشر



ذكر بعض الدور التي ورد ذكرها بوثائق الحوالة:

وهي دور كبيرة تم تحديد مواقع الأحداث، التي وردت تفاصيلها في الحوالة، بناء على سمعتها

الأوضاع العامة بطنجة خلال القرن 18

بعد فتح طنجة عاشت المدينة حالة استقرار وبناء تحت سلطة حاكمها المحلي القائد علي بن عبد الله وقائد السلطان المولى إسماعيل على المنطقة الشمالية الغربية، لكن بعد وفاة القائد علي سنة 1713م والسلطان سنة 1727م ودخول البلاد مرحلة سياسية لها خصوصيات جديدة تغلب عليها حالة عدم الاستقرار السياسي الناتجة عن تدخل جيش العبيد في ولاية العهد، تأثرت أحوال طنجة، بل دخلت مرحلة تاريخية عصيبة، ارتبطت بالمتغيرات التالية:

1- الصراع على الحكم: القائم بين أبناء المولى إسماعيل على العرش وتدخل الجيش في تنصيب وعزل السلاطين. وبذلك انحرف الجيش عن الهدف الذي جند له، فبعد أن كان مصدر قوة الدولة أيام المولى إسماعيل، أصبح عنوان تفكك السلطة المركزية[62] من بعده مدة ثلاثين سنة، فقام قادة جيش العبيد و قبائل الكيش من الأوداية بخلع وتنصيب عدد كبير من السلاطين، كلهم من أبناء المولى اسماعيل؛ فقد ساند العبيد أحمد الذهبي ثم خلعوه، وبايعوا أخاه عبد الملك، ثم عادوا لمبايعة الذهبي، ثم بايعوا المولى عبد الله،ثم تحولوا عنه الى المولى الأعرج، ثم عادوا لمبايعة المولى عبد الله، وتركوه ليبايعوا

62- أطلس تاريخ المغرب عبد الله بن ادريس الداودي ص 114 دار الشرق العربي 2013 بيروت لبنان

محمد الثاني، فالمستضيء ثم عادوا لتنصيب المولى عبد الله... وهذا الواقع السياسي المضطرب لم يكن بعيدا عن مدينة طنجة، بل كانت في صلب أحداثه خاصة في الصراع بين المولى عبد الله والمولى المستضيء.

2 ـ المجاعات والأوبئة والكوارث الطبيعية: التي توالت على البلاد وزادت من تعميق الأزمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وقد سجلت كتب التاريخ سلسلة من المجاعات والأوبئة ضربت طنجة خلال القرن 18: أبرزها مجاعة 1721م/1724م، ومجاعة 1737م ـ 1738م، ومجاعة 1155هـ/1742م طاعون 1157هـ/1744م، وطاعون 1747م، طاعون 1750م، جفاف وطاعون 1155هـ/1742م، المجاعة الكبيرة 1776م، المجاعة الكبيرة 1779م/1782م، طاعون 1798م /1800م[63].

أما الزلازل التي ضربت المغرب خلال القرن 18م فهي متعددة وكان نصيب طنجة من آثارها كبير؛ في سنة 1119هـ/1708م حصلت زلزلة عظيمة بمكناس سقطت على إثرها دور كثيرة، وفي سنة 1131هـ/1719م حصلت

63- انظر، البزاز محمد الأمين: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر 1992 منشورات كلية الآداب الرباط.

زلزلة بفاس والسواحل ومراكش، سنة 1151هـ/1738م حصلت زلزلة عظيمة سقط على إثرها القوس الكبير بباب البحر برباط الفتح.

وفي محرم 1169هـ/ فبراير 1755م حصلت كارثة زلزال لشبونة والذي يعتبر من أقوى زلازل عصره على الإطلاق، فقد أحدث دمارا شاملا في عدة مدن مغربية كانت طنجة أكثرها قربا لمركز البؤرة بالإضافة الى ما خلفه من خسائر في فاس وتطوان حسب ما ذكره الضعيف[64] وقد نتج عن هذا الزلزال اندفاع موجات عاتية (تسونامي) ضربت شواطئ المغرب واسبانيا والبرتغال وكان لطنجة نصيب وافر من آثار هذه النكبة.

وطيلة هذه الفترة الزمنية، التي حصرناها بين وفاة المولى إسماعيل، ونهاية القرن 18م، تتالت على طنجة أزمات اقتصادية واجتماعية، وهزات سياسية، عاش سكان طنجة تحت وقعها فترات مروعة، انهارت فيها كل البنيات المشكلة لقوة وتماسك المدينة، وأتت هذه الأحداث على استقرارها، وروعت الفواجع المتتالية سكانها، وخيم الحزن على قصورها ودورها وبيوتها من هول ما أصابها من نكبات.

64- الضعيف مصدر سابق ص 158

خلاصة:

شهدت طنجة نهاية القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر أحداثا كبرى في حضن الوطن بعد أن عاشت المدينة قطيعة أو شرخا عميقا امتد لأزيد من قرنين، غابت خلالها الأحداث داخل أسوار مدينة طنجة عن الإنسان المغربي، الذي لم يستسغ وضع المدينة المحتلة، فظل مرابطا على أطرافها، يتربص للمحتل، ويتحين الفرصة للانقضاض عليه وفك أسر المدينة وبالتالي عودتها لحظيرة الوطن.

فبادر السلطان العلوي المولى إسماعيل بدعم من الشعب المغربي في شكل قبائل وأفراد (التمسماني، اقلعي، الورياغلي السوسي، العروسي، الأنجري...) كلهم وهبوا أنفسهم ودماءهم وأموالهم فداء لهذه الأرض الطيبة.

تحررت المدينة، وتم طرد المحتل الأنجليزي، فسهر قواد المخزن على تدبير الشأن المحلي، وفق شروط محلية في انسجام بين الأوضاع العامة بالمدينة، وطبيعة تطور الأحداث السياسية على الصعيد الوطني خلال القرن الثامن عشر.

الفصل الثالث

نساء طنجة
خلال القرن الثامن عشر الميلادي ومساهماتهن في الوقف والتنمية والإعمار

لن أسميكِ امرأة، سأسميكِ كل شيء.

أنت ...مرايا لكل ضوء.

محمود درويش

مدخل:

يشهد التاريخ أن لا حضارة قامت من دون امرأة، فهي الخصوبة والحياة، عند جل الحضارات القديمة. مع تعاليم الدين الإسلامي أصبحت المرأة كائناً ذا روح إنسانية كاملة، مستقلاً حراً، وذا إرادة واختيار، وأباحت لها كل ألوان المعاملات الاقتصادية، وبذلك دعت رسالة الإسلام الرجال والنساء معا إلى تدبير ما يزخر به هذا الكون من ثروات.

انطلاقا من هذا الرافد الروحي، ساهمت نساء طنجة المسلمات الى جانب الرجال في خوض رهان تنمية وإعمار مدينتهنً، بعد أن خربها الاستعمار الأنجليزي قبيل طرده منها أواخر القرن السابع عشر، فآمنَّ أن دورهنَّ لا يقل عن دور رجالهنَّ، مبرهنات على أن كل عملية بناء حضاري تتأثر بمساهمة كل المواطنين دون تمييز وإقصاء.

وهكذا وجدت المرأة الطنجية في قطاع الأحباس ما يحقق طموحها في مجال العمل الخيري، فبادرت، كما وثقت ذلك حوالة أحباس طنجة، إلى تحبيس أملاكها المتنوعة، ليعود ريعها بالنفع على المدينة ومؤسساتها الدينية والفقراء والمحتاجين، بشكل برهنت من خلاله عن كفاءتها واستقلاليتها في إدارة

أملاكها، في زمن كانت فيه مدينة طنجة في أمس الحاجة الى نساء من هذا الصنف، قادرات على المساهمة الايجابية في البناء الحضاري.

وقد سجلت وثائق المعاملات الموثقة بين مكونات المجتمع المغربي، بما فيها حوالة الأحباس، حضور المرأة في مجال الوقف، كصنف من أصناف العمل الخيري الذي التزمت به إلى جانب الرجل، من أجل المساهمة عن طواعية في تعمير وإعادة إعمار مدينة طنجة، ومن هذا المنطلق تتبادر الى الذهن مجموعة من الأسئلة، تبدوا معقولة حول الزمان والمكان والموضوع من قبيل:

– لماذا تم حصر موضوع للدراسة زمنيا في القرن 18 بالضبط؟

– ما هو مضمون وطبيعة وثائق حوالة أحباس طنجة؟

– إلى أي حد كان حضور المرأة في مضمون هذه الوثائق قويا؟

– ما هو سر اهتمام المرأة الطنجية بأعمال الوقف خلال هذه المرحلة؟

– ما هي طبيعة ونوعية أوقاف نساء طنجة؟

حضور النساء في حوالة أحباس طنجة:

تم حفظ وثائق الوقف عموما، في سجلات خاصة، تعرف بالحوالات الحبسية، وهي سجلات تحوي تفاصيل دقيقة ومركزة ومؤرخة، حول طبيعة ونوعية وانتقال الملكية، وحقائق تاريخية بشهادة عدول وقضاة، لقد كانت النساء حاضرات دائما، الى جانب الرجال، كما تشهد على ذلك مئات وثائق حوالة أحباس طنجة، بخوضهن غمار مختلف المعاملات العامة في المجتمع الطنجي خلال القرن الثامن عشر.

وحوالة أحباس طنجة، عبارة عن سجل يضم 531 صفحة تحوي أكثر من 450 وثيقة غير مرتبة ولا مصنفة، وضعت رهن إشارة الباحثين خلال فترة الحجر والحماية، عندما قامت " البعثة العلمية بالمغرب" بنشر عمل كبير للمستشرق الفرنسي"ميشو بيلير" Michaux Bellaire سنة 1914 الذي قام بنسخ الحوالة المذكورة ــ نسخة رديئة ــ في 330 لوحة والتقديم لها في ثلاثة عشر صفحة وتحليلها في ثلاثة وعشرين صفحة وإعادة كتابة الوثائق بالفرنسية في مائتين وعشرين صفحة.

وخلال الخمسينيات من القرن العشرين، قامت الخزانة العامة بالرباط، بتصوير معظم الحوالات المغربية في 75 مصورة، منها حوالة أحباس

طنجة، ذكرها الأستاذ المنوني في إحدى أبحاثه[1] حيث قام بجرد لائحتها وأرقامها.

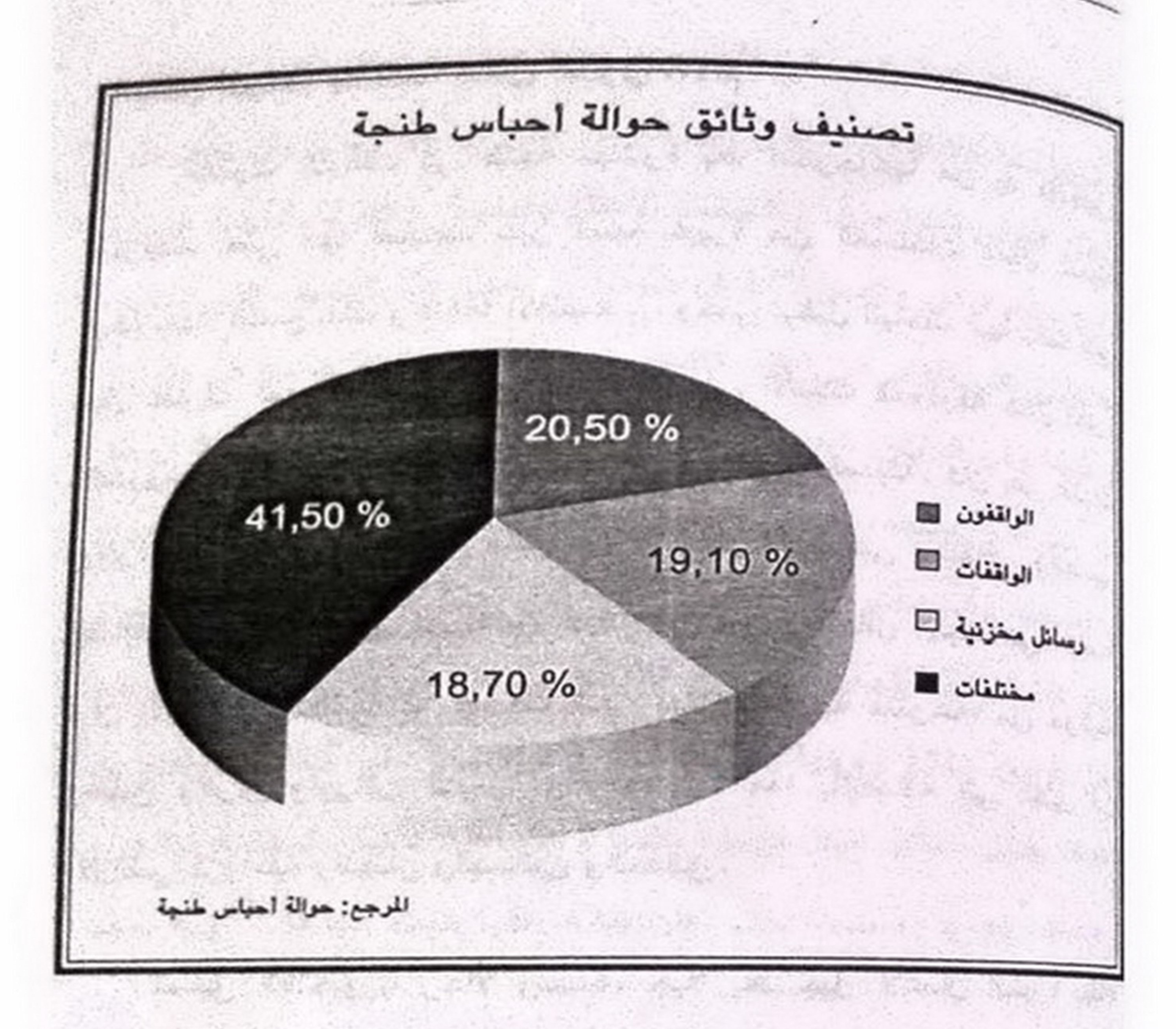
إن البحث في تاريخ أوقاف النساء بالمغرب خلال القرن الثامن عشر، يفرض على الباحث التسلح بالصبر والمثابرة والتوفر على مهارة فك شفرة المخطوطات والتنقيب في رفوف السجلات والكنانيش ومختلف الوثائق التي تكون المادة اللازمة للبحث التاريخي.

هذا الصبر هو ما أضنني تحليت به، خلال اشتغالي على مضمون حوالة أحباس طنجة، عندما قمت بتفريغه وتصنيفه الى وثائق حبس مباشرة[2] بلغ عددها تسعة وثمانون وثيقة بنسبة 39.60 %، وأخرى لها علاقة غير مباشرة[3] بعملية الوقف بلغ عددها ثلاثة وتسعون وثيقة بنسبة 41.50 %، أما الرسائل المخزنية، وأغلبها رسائل سلطانية، تتراوح علاقتها بالوقف بين المباشر وغير المباشر، بلغ عددها إثنان وأربعون وثيقة بنسبة 18.70 %. عموما إن وثائق الحوالة أغلبها، إن لم أقل كلها، لها علاقة بالأحباس.

1- مجلة "البحث العلمي" تصدر عن المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط مقال الأستاذ سيدي محمد المنوني العدد 20-21 مزدوج ص: 86-89.

2- نقصد بوثيقة حبسية مباشرة هي كل وثيقة تحدد الواقف وعين الوقف والموقوف علية وتاريخ الوقف.

3- نقصد بوثيقة حبسية غير مباشرة هي كل وثيقة متضمنة في حوالة الأحباس من وثائق البيع والشراء والإراثة والصداق... تحيل في مراحل لاحقة على فكرة الحبس.



وعند تفريغنا لهذا الكم الهائل من الوثائق الحبسية، تمكننا من تكوين انطباع عن أنماط الملكية النسائية، لكون وثائق هذه الحوالة تشمل أيضا؛ عقود الزواج، وتفاصيل الصداق، وعتق رقاب الإماء... مضيفة بذلك قيمة، لازال الباحث في تاريخ النساء بالمدينة في أمس الحاجة إليها.

- واقع الوقف بطنجة خلال القرن 18م:

تكاثرت الأوقاف في طنجة مباشرة بعد استرجاعها من يد الأنجليز، وتزايدت حتى أنها أصبحت تدير نسبة كبيرة من الممتلكات داخل المدينة وخارجها، ليتسع بذلك وعاءها الاقتصادي، وحتى ليخيل للباحث أنها كانت تدير جل عقارات المدينة والضواحي. هذا التزايد في الأملاك الموقوفة خلال الفترة المدروسة، يمثل إحدى دورات المد الوقفي في تاريخ المدينة، كان يدر عائدات وافرة توجه لتمويل مجالات هامة من النشاط الاجتماعي والثقافي والعلمي، إضافة إلى دورها البارز في تمتين شبكة التضامن والتكافل الاجتماعي، خاصة وأن الأوقاف في طنجة قد أصبحت تدير أملاك عقارية متنوعة؛ من حوانيت وفنادق وأفران وأوراش الدرازة وطواحين... هذا بالإضافة إلى الكثير من الأراضي الزراعية والجنان والبساتين والحدائق.

تسابق الطنجيون، رجالا ونساء، جيلاً بعد جيل لأعمال الخير؛ ببناء المساجد ومرافقها وتحبيس العقارات عليها لصيانتها وتأمين دوام منفعتها وديمومة خدماتها، هذا إضافة إلى ما كان ينفق على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل. إلا أن مكانة المسجد الأعظم في نفوسهم كانت متميزة، فقد استأثر بأغلب ما حبس بطنجة، ولعل هذا يعود أساسا إلى الدور الذي كان يؤديه هذا الجامع في الحياة اليومية؛ الدينية والثقافية والاجتماعية، وإلى كونه حديث

للعهد بالاستقلال كما يشير إلى ذلك صاحب زهرة الأكم: "وكان فتحها (طنجة)، كما ذكرنا سنة 1095هـ ثم بنى (أبو الحسن علي بن عبد الله الريفي بأمر من السلطان المولى إسماعيل)... المسجد الأعظم بالمدينة. وأقام به الخطبة أيضا، فصارت حاضرة البر والبحر"[4] فكان طبيعيا أن يحظى هذا المسجد، الذي أسسه المجاهدون على تقوى من الله، باهتمام المحبسين، وبمكانة خاصة في نفوس أهل طنجة وفي الوثائق الحبسية المرتبطة بالقرن الثامن عشر. ونلاحظ أن ما حبس على هذا المسجد، يفوق من حيث القيمة والعدد، كل ما حبس على غيره من المساجد والمنشآت الأخرى بالمدينة، فمن أصل 44 وقف نسائي، كان نصيب هذا المسجد يتجاوز نسبة 90% من مجموع أوقاف النساء، وذلك لما يحظى به من مكانة روحية لدى السكان؛ فبالإضافة الى أنه كانت تقام به الصلوات بشكل منتظم، شكل مركزا علميا واجتماعيا، فأخبار المجتمع الطنجي؛ من وفيات وزواج ومستجدات... تعلن ببابه عقب صلاة الجمعة.[5] وبه يوجد

4- الريفي، عبد الكريم بن موسى، زهر الأكم، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة، ص 173 مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992.

5- العشاب عبد الصمد، مائة سنة من تاريخ المنشآت الحبسية بطنجة نماذج من أحباس مدينة طنجة منذ القرن الثاني عشر الهجري.

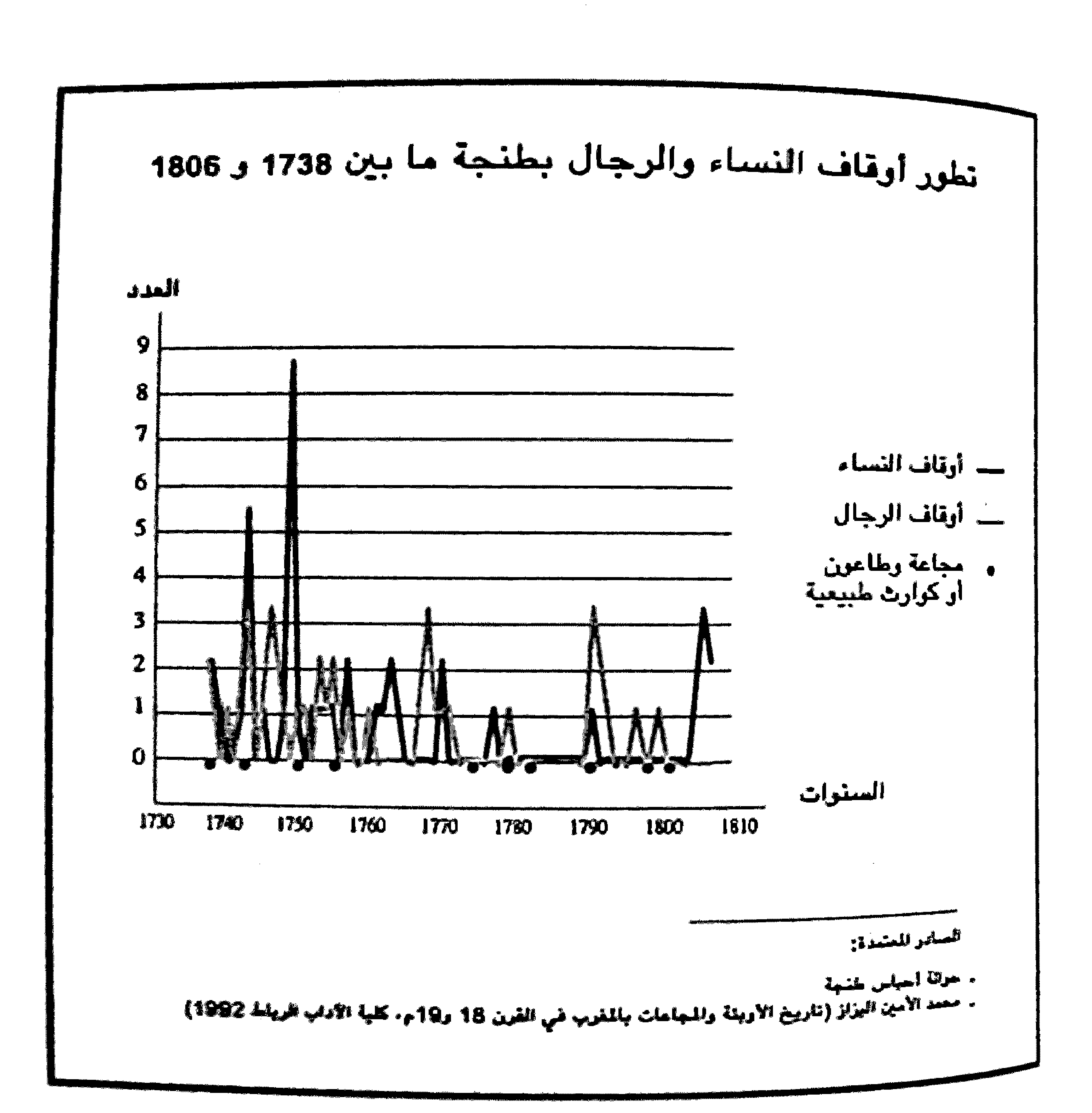
المؤقت الرسمي[6] للمدينة فصومعته منارة لتحديد أوقات العبادات من صلاة وإفطار وسحور خلال شهر رمضان وغيره من شهور السنة.

ظل دور المرأة الطنجية، خلال هذه المرحلة، لا يقل عن دور الرجل في مجال أعمال البر والأوقاف، فمن مجموع تسعة وثمانون وثيقة تحبيس خلال القرن الثامن عشر تضمنتها حوالة أحباس طنجة، نجد أن 44 وثيقة منها تخص أوقاف النساء أي ما نسبته 49.5 % من مجموع أوقاف ذكور وإناث طنجة ما بين سنتي 1221هـ/1714م و1127هـ/1806م، والجدول التالي يوضح هذا التوزيع:

وثائق الحبس حسب الجنس	العدد	النسبة المئوية
وثائق أوقاف الذكور	45	%50.5
وثائق أوقاف الإناث	44	%49.5

6- المؤقت هو الشخص المسؤول على إعلان أوقات الصلاة للمؤذنين، ينتخب عادة من المدققين في علم التوقيت، و قد سجلت حوالة أحباس طنجة سنة 1753م تحبيس الفقيه سي عمر الحاج سالم بن عبد الله الطرابلسي جهاز أسطرلاب وتحبيس السلطان سيدي محمد بن عبد الله ساعة حائطية كبيرة بواسطة الفقيه المؤقت السيد علي بن يوسف بتاريخ 13 جمادى الأخيرة عام 1184 هـ/ 1770م.

إن مقارنة بسيطة بين تطور أوقاف الجنسين خلال المرحلة المدروسة تبرز نوعا من الانسجام القائم بين وتيرة تطور أوقاف الرجال والنساء خلال محطات عدة من القرن الثامن عشر.



المصادر المعتمدة:

- حوالة أحباس طنجة
- محمد الأمين البزاز (تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرن 18 و19م. كلية الآداب الرباط 1992)

هذا الانسجام، الظاهرة معالمه على المبيان، يتجلى في أن تطور وتيرة أوقاف الرجال والنساء، مرجعه في نظرنا الى دوافع الوقف التي كانت تتمثل في الحاجة الملحة لسد الخصاص، الذي كان يعاني منه المجتمع خاصة خلال سنوات؛ المجاعات (1738 و1742 و1776م...) والأوبئة (طاعون 1744 و1747 و1800م...) والزلازل الكبرى (1755م زلزال لشبونة خاصة).

أوقاف نساء طنجة خلال القرن 18:

إن البحث في تاريخ أوقاف النساء بالمغرب، خلال القرن الثامن عشر، يفرض على الباحث التسلح بالصبر والمثابرة والتوفر على مهارة فك شفرة المخطوطات والتنقيب في رفوف السجلات والكنانيش ومختلف الوثائق التي تكوّن المادة اللازمة للبحث التاريخي.

وهذا الكم الهائل من الوثائق الحبسية، يرصد واقعا اجتماعيا، كان قائما خلال القرن الثامن عشر، له خصوصياته المتميزة، ويمكننا من تكوين انطباع عن أنماط الملكية النسائية، ناهيك عن ما تشمله تلك السجلات من عقود زواج، وتفاصيل صداق، وعتق رقاب الإماء... مضيفة بذلك قيمة يعتبر الباحث في تاريخ النساء بالمدينة في أمس الحاجة إليها.

فالباحث في تاريخ المغرب، عندما يغوص بحثا في المصادر التقليدية، ومختلف المراجع التي اعتمدتها، وأرخت للمغرب منذ قرون خلت، يواجه ندرة وشحا في المعلومات التي تهم مساهمة المرأة المغربية في البناء الحضاري المغربي؛ هذه الندرة مرجعها الى أن الإخباريين المغاربة، كانوا يوجهون عنايتهم الى القادة السياسيين والوقائع الحربية، ولم تحضر المرأة في هذه الكتابات إلا حضورا عابرا كزوجات، وهبهن الله حظا وافرا من الجمال والذكاء والعلم، يساهمن في الظل في تسيير إمبراطوريات أزواجهن...

هذه الندرة، دفعت بنا الى البحث والتنقيب، عن المعلومات التي قد تفيد الباحث في مجال التاريخ، خارج أسوار مصادر الإخباريين التقليدية، فلجأنا الى وثائق الحوالات الحبسية، لأهميتها الكبيرة في الكشف عن ما لم تكشف عنه المصادر الأخرى، في موضوع التأريخ لأعمال البر والتطوع والإحسان، حتى في السنوات ذوات المسغبات، لنكتشف أن المرأة المغربية عامة والطنجية خاصة، خلال القرن الثامن عشر، كانت من طينة النساء المؤمنات الصابرات، 'صانعات' الرجال؛ أمهات وزوجات وبنات المجاهدين، فبعد تحرير المدينة، كان للنساء باع طويل في مجال مساهمتهن في البناء الحضاري، وإعادة ترميم وبناء وإعمار المدينة، التي خربها الأنجليز قبيل طردهم منها من طرف

المجاهدين الأشاوس، فسجلن أوقافا، من حر مالهن الحلال، خصص ريعها للبر ودوام منفعة المرافق العامة، موثرات المصلحة العامة وأعمال البر على مصلحتهن الشخصية، وهن بذلك يتقربن إلى الله بأعز ما يملكن من صداق وإرث وأملاك وعقار... فحق القول في حق هؤلاء النساء قوله تعالى ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ سورة الحشر الآية 9.

فمن خلال تصفح وثائق الحوالة الحبسية، يتضح أن أغلب ما أوقفته النساء بطنجة خلال القرن الثامن عشر، هو في الأصل إما إرث أو صداق...، ولذلك أجد نفسي مجبرا على الوقوف هنيهة، للإشارة إلى أن الإسلام عندما ضمن حق مشاركة البنات للأبناء في الإرث[7]، بقوله تعالى ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ

7- أثار أعداء الإسلام شبهات حول ميراث المرأة، وادعوا أنه قد هضمها حقها، حين فرض لها في إحدى الحالات نصف ما فرض للذكر.﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء/11] والحكم الجاهز ينمُّ عن جهل عظيم من هؤلاء الذين أرادوا أن يطعنوا في الإسلام، متجاهلين الحالات التي تتساوى فيها المرأة مع الرجل في الميراث؛ قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ [النساء/12] وقال عز وجل في ميراث الأبوين: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء/11] وحالات ثانية ترث فيها أقل منه قال تعالى ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ [النساء/11] أي وللأب الثلثان الباقيان، وفي حالات ثالثة ترث فيها أكثر من الرجل، المثال التالي "ولو ماتت امرأة عن: زوج، بنت، أخت شقيقة، فإن للزوج سهم واحد من أصل

مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا ﴾ سورة النساء الآية 7، قد أكد أنها شق الرجل، وأهل للاستحقاق والتملك والتصرف مثله تماماً في أملاكها، فالتنصيص على حق المرأة في الميراث - كبيرا كان أو صغيرا - يشكل رادعاً للرجل، ويمنعه من التهاون في إعطائها ما لها من حق في مال الهالك، وفي هذا الحق تكريم لها، لتشارك الرجل في عمارة الأرض، واستثمار خيراتها، إن الله جعل الإنسان في الأرض خليفة، ولفظ الإنسان عام يشمل الذكر والأنثى على حدٍّ سواء.

والمرأة الطنجية عندما أوقفت من صافي مالها الحلال؛ حانوت، دار، رشة درازة، جنان...لم تعمل سوى على الاستجابة لداعي ربها، متسلحة بإيمانها القوي، مجاهدة فطرة النفس البشرية على حب التملك، في قوله تعالى ﴿وتحبون المال حبا جما﴾ سورة الفجر الآية 20 بل ازدادت صدقتها الجارية في سنوات الخصاص والكفاف، موثرة عمل الخير على نفسها ولو كانت بها خصاصة، كما أنها، وبفعل اندماجها في الحياة العامة، كانت تتوفر على قدرة وكفاءة متميزة، لتقييم حاجة وخصاص مرافق المدينة، فأثبتت بذلك أنها أهل

أربعة أسهم، وللبنت سهمان، وللأخت الشقيقة سهم واحد، فالزوج هنا يرث نصف ما ترثه البنت.

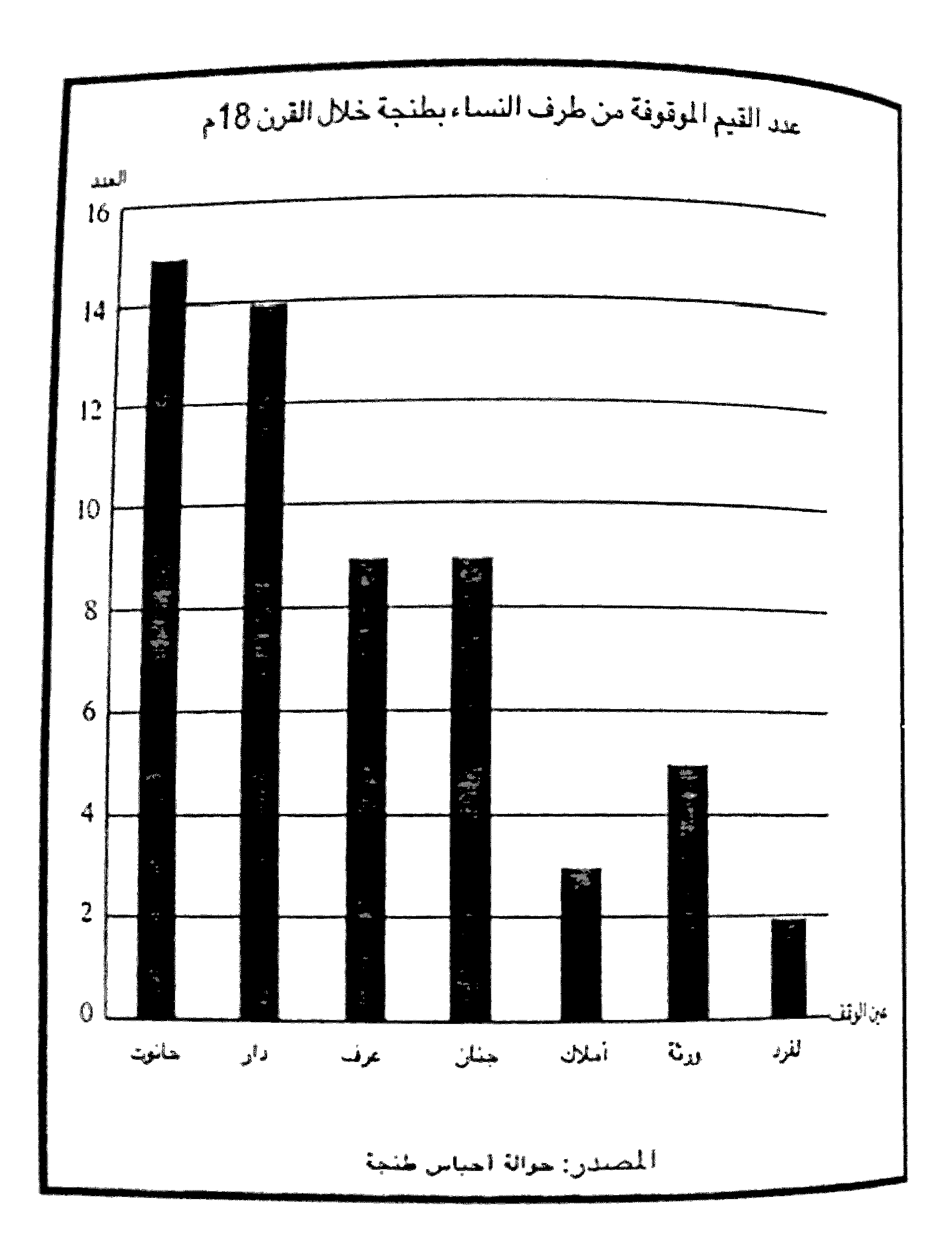
للاستخلاف والتوريث، وأنها قادرة على المساهمة الفعالة في تنمية مدينتها، ودوام منفعة المرافق العامة الدينية والدنيوية.

فأوقفت أملاكا متنوعة، وبأعداد مختلفة، كما يوضح ذلك الجدول والمبيان التاليين، والأكيد أنها لا تبتغي من أوقافها هذه لا جزاء ولا شكورا في الحياة الدنيا، بل تعتبرها صدقة جارية، تبتغي بها ملاقاة وجه ربها، ولغة صياغة وثائق الوقف عموما، تؤكد على ذلك باعتماد عبارات من قبيل " قصد بذلك وجه الله العظيم، وثوابه الجسيم، والدار الآخرة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا..."[8].

***جدول يحدد عدد القيم الموقوفة**
من طرف النساء بطنجة
خلال القرن الثامن عشر*

الموقوف	حانوت	دار	غرف	جنان	أملاك	ورشة	نقود
العدد	15	14	09	09	03	05	02

8- أغلب وثائق الحوالة تحمل هذه العبارة أو أخرى في معناها.

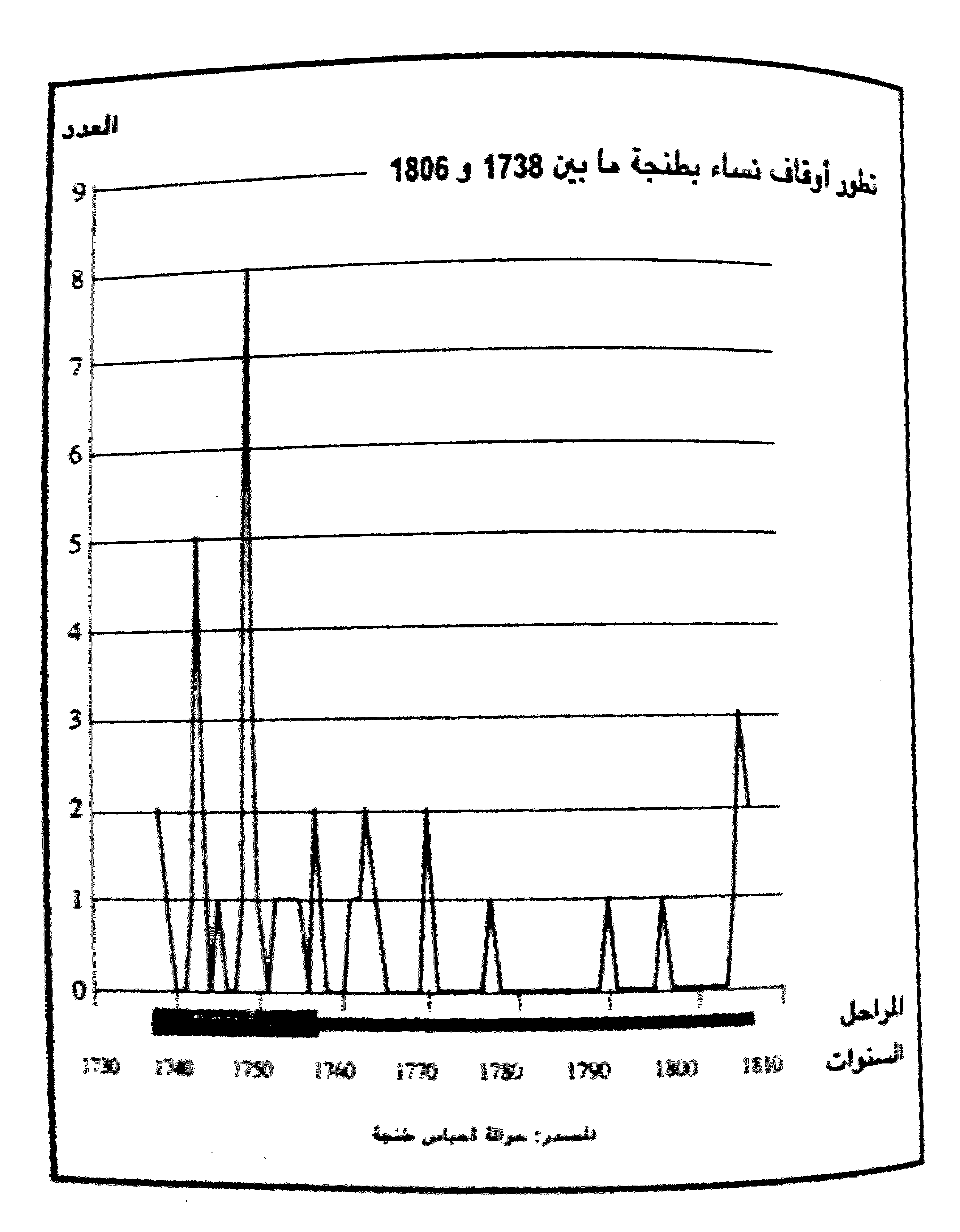


المصدر: حوالة احباس طنجة

المتصفح لوثائق حوالة أحباس طنجة، يكتشف أن المرأة الطنجية خلال القرن الثامن عشر، أثبتت أنها في مجال إنفاقها لمالها لا تقل تدينا[9] وتعبدا وحبا للخير عن الرجل، بل أنها خلال سنوات معينة فاقت أوقاف النساء ما أوقفه الرجال (مثلا سجلت سنة 1749م ثمانية أوقاف نسائية في حين لم تسجل أية حالة للرجال)[10] وقد تعددت الحالات المماثلة، والتي كانت أغلبها تتزامن مع سنوات كانت فيها الحاجة الى التآزر والتكافل الاجتماعيين كبيرة، فلم يسجل تاريخ المرحلة، بناء على الوثائق التي بين أيدينا، ضعف أو تهاون المرأة الطنجية. بل أثبتت أنها مدرسة قادرة على زرع بذور الخير والتعاون وتربية أجيال طيبة الأعراق.

9- هذا المعنى فيه رد على البعض، ممن يسمحون لأنفسهم تفسير بعض الأحاديث النبوية الشريفة، بالمعنى القدحي، وفق هواهم، دون فهمها بعمق ووضعها في سياقها.

10- شهد منتصف القرن الثامن عشر توالي الكوارث والأوبئة على سكان المغرب عموما بمن فيهم سكان طنجة، فما بين سنوات 1747 و1750 تعاقب الطاعون والجفاف (انظر كتاب تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لمحمد الأمين البزاز ص 57 منشورات كلية الآداب الرباط 1992).



المصدر: حوالة أحباس طنجة

يمكن تصنيف وتيرة تطور أوقاف النساء بطنجة خلال القرن الثامن عشر الى مرحلتين كبيرتين:

ـ المرحلة الأولى:

تمتد من منتصف العقد الأول[11] الى غاية منتصف الخمسينات، شهدت هذه المرحلة، ومنذ استقرار المدينة بعد استقلالها، كثافة وغزارة الأوقاف النسائية، كتعبير عن المساهمة الفعالة للمرأة الطنجية في حل المشكلات التي كانت تواجه المرافق الدينية والاجتماعية الحديثة العهد بالمدينة، وهي بذلك تثبت بما لا يدع مجالا للشك، مشاركتها الى جانب الرجل، من دون أي إحساس بالنقص أو الدونية، في ترسيخ ثقافة الصدقة الجارية والمحافظة على الوقف بما يكفل ديمومته، بإنفاق ريعه (دخله، ثمرته) على أعمال الخير التي أنشئ من أجله، لتحقيق تنمية مستدامة، تتجلى من خلال العبارة الكثيرة التردد في نصوص التحبيس" يبقى ذلك على الوجه المذكور حبساً مؤبداً ووقفاً مخلداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين"[12] ولن نذيع

11- أقدم وثيقة بحوالة أحباس طنجة تعود للسيد محمد بن عبد الله الحاج البقال الغزاوي مسجلة بتاريخ 20 جمادى الثانية 1226هـ/1714م أما أقدم وثيقة حبس نسائية فتعود للسيدة أمينة بنت المجاهد القائد علي بن عبد الله التمسماني مسجلة بتاريخ 23 ذي الحجة 1151هـ/1738م.

12- أغلب وثائق الحوالة تحمل هذه العبارة أو أخرى في معناها.

سرا إذا قلنا بأن هذا النوع من المساهمة النسوية، هو أحد الآليات الغائبة في مجتمعاتنا الراهنة، التي ألفت الاتكال على الدولة وأجهزتها.

فهذه المرحلة على قصر مدتها، سبعة عشر سنة، تشكل مرحلة ذهبية في تاريخ أحباس النساء بطنجة، بحيث وصل عدد وصايا الوقف خلالها سبعة وعشرون وصية نسوية (بمعدل 1.58 وقف/السنة) من أصل أربعة وأربعين وصية ممتدة على مدة ثمانية وستين سنة، أي أن المرحلة اللاحقة الممتدة على واحد وخمسين سنة لم تسجل سوى سبعة عشر وصية وقف نسوية(بمعدل 0.33 وقف/السنة).

والراجح أن حالة عدم الاستقرار السياسي التي أصبحت تعيشها طنجة بعد وفاة المولى إسماعيل، وزواج السلطان المولى المستضيء بن إسماعيل سنة1155هـ/1742م[13] بأخت قائد طنجة القوي أحمد بن علي بن عبد الله الريفي، أجبر هذا الأخير على الدخول في دوامة نصرة صهره ضد منافسه على العرش المولى عبد الله بن إسماعيل إلا أن انهزام قواته ومقتله في معركة قرب

13- الضعيف محمد الرباطي، تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة) ص 141 تحقيق وتعليق وتقديم الأستاذ أحمد العماري دار المأثورات الرباط.

القصر الكبير في 4 جمادى الثانية 1156هـ/26 يوليوز 1743م[14] أدخلت الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية بطنجة في مرحلة جديدة أثرت بشكل مباشر على نسبة أوقاف النساء خلال المرحلة اللاحقة.

المرحلة الثانية:

بدأت معالم هذه المرحلة، تتجلى مع دخول المولى عبد الله بجيشه المدينة، وشروعه في مصادرة "داره (الباشا أحمد) بطنجة واحتوى على ما فيها من المال والنساء والجواري والمال والعدة والسلاح والخيل والدخائر النفيسة، فكان يبعث ذلك المال لفاس على البغال والجمال، وكان يخرج خيله من تحت الأرض من الدهاليس ويبعثها لداره"[15] ولم تقتصر عملية المصادرة على أملاك الباشا أحمد بن علي الريفي بل " تتبع (السلطان) حاشية الريفي من عمال وكتاب وغيرهم ممن كان له به اتصال، فاستصفى ما عندهم من المال والذخيرة ..."[16]

14- الناصري أحمد بن خالد، كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى الجزء السادس ص193 منشورات وزارة الثقافة والاتصال2001.

15- تاريخ الضعيف مصدر سابق ص 145.

16- الاستقصا مصدر سابق ص 194.

وبذلك كان وقع هذه التطورات كبير على استقرار وأمن الأسر الثرية التي كانت نساؤها سباقة الى أعمال الخير والتطوع، بل أن بعض النساء الثريات تأثرت أنشطتهن وثرواتهن بهذه التطورات فالبنت "الكبرى عزوز بنت الباشا احمد بن علي الحمامي" التي سبق أن أوقفت ثلث أملاكها لفائدة المسجد الأعظم، كما ورد في وثيقة مسجلة بتاريخ 15 جمادى الثانية 1163هـ/1749م، نجد ذكرا لها مرة ثانية في وثائق الحوالة الحبسية على الصفحة 27، وهي تبيع الى جانب أخواتها ما تبقى لهن من جنان، وهذا نص ما ورد في الوثيقة المسجلة بتاريخ 15 شعبان 1791/1206: "الحمد لله فيما سلف من تاريخه قبل أربع سنين اشترى القائد محمد بن عبد المالك التمسماني من النسوة الآتية أسماؤهم: فاطمة، مناس، عائشة، طامة، عزوز، هبة، زهرة بنات الباشا أحمد بن علي... جميع الجنان المعروف بجنان القائد عبد السلام"[17].

ثم ما لبثت أن تعرضت طنجة زمن المولى محمد بن عبد الله لنكبة جديدة سنة ثمانين ومائة وألف (1766/1180)... قبض على القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي، صاحب طنجة، وعلى مائة من قرابته وأهل بيته، فأودعهم السجن، ثم سار إلى طنجة فدخلها، ونهب دار عبد الصادق

17- حوالة أحباس طنجة ص 27.

المذكور...»[18] فأثرت هذه النكبة سلبا على الاستقرار العادي لأزيد من مائة أسرة ثرية بطنجة، اضطرت معها نساء هذه الأسر الى توكيل أشخاص؛ أب، إبن، زوج، إبن عم... من أجل البحث عن أملاكهن[19] منهن: فاطمة بنت عبد الفاضل، عائشة بنت سي عبد القادر بن الباشا أحمد، الشريفة منانة بنت محمد أفلوس أرملة القائد عبد الصادق، عائشة بنت القائد عبد الصادق، منانة زوجة العياشي بن عبد الصادق.

كان طبيعي أن تؤثر هذه الهزات السياسية – الاجتماعية على الوضع الاقتصادي للمدينة، فقد ذكر الضعيف عدة مرات أن بيت مال طنجة كان فارغا[20]، وبالتالي فإن مصادرة أملاك الفئة الثرية بالمدينة وفراغ بيت المال، أثر سلبا على نسبة أوقاف النساء خلال المرحلة الثانية من القرن الثامن عشر.

18- الاستقصا مصدر سابق ص39.

19- حوالة أحباس طنجة ص55

20 تاريخ الضعيف مصدر سابق ص228،210،199،197.

. لائحة مجمل أوقاف نساء طنجة ما بين 1738 و 1806:

السنة الهجرية والميلادية	المرأة الواقفة	عين الوقف
23 ذي الحجة 1738/1151	السيدة أمينة بنت المجاهد القائد علي بن عبد الله التمسماني*	تحبس حانوت برحبة الزرع
23 محرم 1738/1151	السيدة أمينة بنت عبد الواحد السعيدي زوجة سي عمر أوزايد *	تحبس نصيبها جنان قرب المصلى
1 رجب 1739/1152	زهرة بنت العادل عبد الواحد الشواط*	تحبس نصف حانوتها المشترك مع الاحباس
30 رمضان 1742/1155	فاطمة بنت محمد المطالسي*	تحبس غرفتين دارها بحومة كزناية
5 ربيع الثاني 1743/1156	السيدة رحمة بنت علي الصالحي*	تحبس 96 أوقية
رجب 1743/1156	السيدة عائشة بنت مولاي محمدالغزواني*	تحبس حانوت
1 رجب 1743/1156	السيدة رحمة بنت عمر علو الزايدي التمسماني*	تحبس الدار التي تسكنها
4 رجب 1743/1156	عائشة زوجة عبد الله بن موسى الزناسني*	تحبس ورشة درازة
7 رجب 1743/1156	الأختين رحمة و رقية بنات عبدالله بن يوسف الأصيلي*	تحبس نصيبهما من دار أبيهما
1 رمضان 1745/1158	خديجة بنت الحسن الشريف التمسماني *	تحبس نصف الدار.
25 محرم 1748/1161	أمينة أرملة علي بن فاتح الحرطاني*	تحبس دارها بحومة كزناية.
8 جمادى الثانية (1749/1168)	خديجة بنت محمد السعيدي*	تحبس جنان بقبة السلاطين للمسجد الكبير.
15 جمادى الثانية 1749/1163	امينة بنت عبد الواحد السعيدي*	تحبس نصف جنان المرج بالسواني.
15 جمادى الثانية 1749/1163	رابحة الماروشية*	تحبس 50 اوقية لفائدة .
15 جمادى الثانية 1749/1163	البنت الكبرى عزوز بنت	تحبس ثلث املاكها.

	الباشااحمد بن على الحمامي*	
15 جمادى الثانية 1749/1163	السيدة زيد المال أم سي يوسف ابن الباشا احمد بن علي بن عبد الله*	تحبس ثلاث حوانت في السوق.
15 جمادى الثانية 1749/1163	السيدة رحمة بنت سعيد الورياغلي*	تحبس غرفة بدار احمد أوعتو.
30 جمادى الثانية 1749/1163	رقية بنت ( ) جلم*	تحبس الدار التي تسكنها بحومة بني يدر.
4 رجب 1749/1163	رحمة بنت محمد التليدي*	تحبس نصف حانوت .
15 جمادى الثانية 1750/1172	فاطمة البشيرة الورياغلية*	تحبس ثلث املاكها من أراضي و مواشي وتجهيزات بطنجة ونواحيها وبقبيلة بني ورياغل.
1 جمادى الاولى 1752/1166	الأرملة رحمة بنت قاسم سلمون الودراسي*	تحبس نصف دار ورثتها عن زوجها الحاج عمر بن الشركي.
15 جمادى الاولى 1752/1166	الأرملة رحمة بنت محمد عزوز الأومراسي*	تحبس نصف دار بحومة الزرموري.
15 شوال 1752/1166	السيدة رقية بنت الناصر الشيخ*	تحبس غرفتين بدار بحومة بني يدر.
15 جمادى الأولى 1753/1167	عائشة أخديم واخوتها*	تحبس طاحونة و ستة حوانت.
28 رمضان 1754/1168	السيدة أوزة بنت مسعود بن كزنايا ارملة عياد العاصر*	تحبس دويرة.
24 شوال 1755/1169	السيدة الخيرة رقية بنت محمد الهيشو الشفشاوني أرملة الحاج محمد الستيتو الحجاج الشفشاوني*	تحبس دار.
4 شعبان 1757/1172	السيدة اشموس بنت سيدي الحاج الغزواني البقالي و أمها عائشة المهماه *	تحبس جنان الكائنة بالرمل قرب طنجة.
4 شعبان 1757/1172	أمينة بنت علي كبور الأيدر زوجة سي عيسى بن شعيب علي التمسماني*	تحبس جنان الكائنة بالرمل قرب طنجة.

التاريخ	الاسم	التحبيس
15 رمضان 1761/1175	فاطمة بنت محمد التوزيني*	تحبس دار بحومة كزناية.
15 ربيع الثاني 1762/1174	رحمة بنت محمد التليدي*	تحبس تأكيد وقف نصف حانوت.
1 جمادى الثانية 1763/1177 (تقدير)	عائشة بنت قاسم الغزاوي زوجة الحاج محمد بن أحمد أميلك الترجوني*	تحبس الغرفة التي تسكنها مع زوجها الدراز.
1 جمادى الثانية 1763/1177(تقدير)	المرأة العجوز خديجة بنت محمد السعيدي بموافقة بناها تلاتيماس وأمينة و خديجة*	تحبس جنان بقبة السلاطين قرب حديقة عبد الله مومن.
15جمادى الثانية1178 1764/	أمينة بنت عبدالله حنتوت الودراس*	تحبس دار.
25 جمادى الثانية 1770/1184	رحمة بنت محمد الزايدي التمسماني*	تحبس غرفتين من بيتها في حومة سانية يالا.
15 شوال 1770/1184	المرأة العجوز مريم بنت أفقر*	تحبس دارها الكائنة قرب حائط المدينة بحومة بني يدر.
7 صفر 1777/1191	عائشة بنت الحاج عبد الرحمن اقبال*	تحبس جنان.
23 ربيع الثاني 1790/1205	رقوش بنت احمد أوسليمان التمسمان*	تحبس حانوت بالحدادين قرب باب الفحص.
15 شعبان 1796/1211	رحمة بنت محمد المحتسب العبدالرزاقي أرملة الحاج أحمد بن الحاج قدور*	تحبس ربع جنان في المصلى من ارث زوجها.
8 ذي الحجة 1804/1219	منانة بنت عبد الله أخديم ارملة الحاج الحسين الخلوف*	تحبس ثلثي دارعلى قراءة الحزب.
30 جمادى 1805/1220	رحمة بنت محمد المحتسب العبدالرزاقي أرملة الحاج أحمد بن الحاج قدور تحبيس*	تحبس ورشة درازة يسار المسجد الكبير طلوعا من البحر.
50 شعبان 1805/1220	رحمة بنت محمد*	تحبس نصيبها في ورشة درازة
28 شوال 1805/1220	رحمة بنت سي محمد السعيدي*	تحبس جنان.
30 صفر 1806/1221	رحمة بنت محمد بن ع الرزاق*	تحبس ثلث أملاكها لبنات أخيها وتحبس ورشة درازة لفائدة حزابة الزاوية الناصرية
5 ذي القعدة 1806/1221	الأختين الشقيقتين عائشة ورحمة بنات مولاي الطاهر وعربية الوادي[21]*	تحبسان غرفة بدارهما الكائنة على ضفة الواد القادم من المطاحن ونصف ساحة الدار.

معاملات مختلفة لنساء طنجة

أثبتت عدة إشارات تاريخية، ورد ذكرها في حوالة أحباس طنجة وكذا في مصادر أخرى، خروج المرأة المغربية للحياة العامة خلال القرن الثامن عشر، مما يفيد بان المجتمع المغربي كان مجتمعا "متفتحا" الى حد ما، خالطت فيه المرأة عالم الرجال؛ فبعض الأزواج كانوا يسمحون لزوجاتهم ولا يستنكرون عليهن استقبال الحرفيين والباعة المتجولين في بيوتهن[22]، وهذا يؤكد أن المرأة قامت بجل أنواع المعاملات التي كانت رائجة في الحياة العامة، وأنها كانت تتوفر على سلطة في مجتمعها؛ مما جعل بعض الفقهاء، في كتاباتهم الفقهية، يتصدون لها ويقاومونها من خلال ترويجهم لنظرة الشك اتجاهها في كتاباتهم في محاولة منهم لإخضاعها لسلطة الرجل.

استمر هذا الدور المتزمت، والتفسير الخاطئ لنصوص دينية، من طرف بعض الفقهاء، في اعتقادي، حاضرا في الذهنيات إلى عهد قريب، وركز فكرة؛ أن المرأة خلال القرون السالفة كانت منغلقة لا تخالط مجتمع الرجال، و"لها ثلاث خرجات خرجة لبيت زوجها وخرجة لموت أبويها وخرجة لقبرها"[23]، بل ذهب ابن عبد الملك المراكشي[24] منتقدا ابن الأبار إلى أن ذكر النساء في مؤلفه والقيان منهن خاصة " وصمة عار وجرحة فيمن تعرض له، نستعيذ بالله من إعمال القلم في ذكر واحدة منهن، ونرى الإعراض عنه

بينا...إنها عثرة لا تقال، وزلة لا تغتفر، وسيئة لا تكفير عنها وكبيرة يجب التنكب منها، والإقلاع بتوفيق الله عنها، والله حسبنا ونعم الوكيل..."[25] وهذا الفكر هو ما حاولت الكتابات الاستعمارية ترسيخه والترويج له، معتبرة أن أوربا، وفرنسا خاصة، هي التي حررت المرأة المغربية خلال مشروعها الاستعماري متجاهلة حقيقة واقع هذه المرأة عبر التاريخ.

وبناء عليه فإن هذه النظرة المغلوطة عن واقع المرأة الاسلامية في العصور السالفة، والتي ترسخت في الأذهان راجعة الى النقط التالية:

ـ تجنبت المصادر التقليدية، التأريخ للمرأة بشكل مباشر.

ـ التسليم بالأطروحة الاستعمارية لسنوات طويلة من طرف النخب المتشبعة بالفكر الاستعماري الغربي.

ـ ضعف تناول الأبحاث التاريخية والسوسيولوجية الجادة موضوع المرأة المغربية عبر التاريخ و دورها في البناء الحضاري.

وخير ما يمكن أن نستقرئ من خلاله واقع المرأة في مغرب القرن الثامن عشر هي وثائق حوالة أحباس طنجة التي تضمنت عدة نماذج المسؤوليات التي تحملتها المرأة الطنجية خلال هذه الفترة. فقامت بالتصرف

في أملاكها بالتحبيس، البيع، الشراء، الشركة، الوصاية، الشفعة، المقاسمة، التوكيل، العطاء، الصداق، الإرث، معاوضة...

هذه المهام لا يمكن أن تقوم بها امرأة ينظر إليها على أنها ناقصة أو أنها لا تخرج من بيتها، بل امرأة منخرطة في الحياة العامة، ومدركة لحاجات ومتطلبات المجتمع، إلى جانب الرجل.

فجدول[26] لائحة مجمل أوقاف نساء طنجة ما بين 1738 و1806 يضم أزيد من44 امرأة محبسة، حبست وتصدقت من أعز ما تملك، كما سجلت الحوالة عدة معاملات بيع وشراء قامت بها نساء طنجة فمثلا السيدة فاطمة بنت عبد الله بن يحيى المصوري أرملة القاضي أحمد بن محمد الشريف باعت بتاريخ 1 رجب 1739/1152 لناظر الأحباس نصف حانوت[27] وفي سنة 1164هـ م /1750 السيدة ميمونة بنت احمد العبدالرزاقي باعت لفاطمة بنت احمد أوناصر الخالدي غرفة ب ثماني أوقيات و2 موزونات[28] والأمثلة كثير. بل أن بعضهن مارسن حق شفعة املاك كانت مشتركة قام رجال العائلة ببيعها، ربما بدون علم المرأة، فالسيدة فاطمة بنت امحمد بن عبد الله البطفتي مارست حق الشفعة على دار والدها مقابل 22 أوقية بعد أن باعها أخوها سي محمد لناظر الأحباس بنفس المبلغ.

وذهبت بعض النساء الى عقد شركات غالبا ما يكون الزوج هو الشريك مثلا أشركت رحمة بنت محمد أوعلي التمسماني زوجها علي بن الطاهر الوزاني الصرصري بتاريخ 1 رجب 1736/1149 في ملكية دار مقابل 40 اوقية. كما أن بعضهن فمن حسب إحدى الوثائق[29] الواردة في الحوالة، بمعاوضة ومبادلة مع أقرب الناس إليهن فالطاهرة بنت الحاج محمد أقبال تبادلت مع زوجها العربي بن علي أقبال التمسماني بدار والدها مقابل ارض وحوانتي ودكانين بتاريخ 30 ربيع الثاني1751/1165.

وتصرفت المرأة الطنجية بكل حرية في صداقها أو مؤخر الصداق، فمنهن من حبست صداقها أو جزءا منه؛ فأمينة بنت الحاج علي الشنلية تتوصل بمؤخر صداقها من زوجها أحمد بن أحمد العبدالرزاقي وهو عبارة عن جنان في الرمل قرب السواني وحانوت بالسوق الداخل وخمسة عشر مثقال بتاريخ شعبان 1161هـ/1748م. وفي وثيقة ثانية[30] يعترف امحمد بن أحمد التوزيني العمراني بأن في ذمته مؤخر صداق زوجته عائشة بنت محمد ملول التوزيني قدره 30 مثقال ومقابل ذلك يعطيها نصف جنانه الذي بقصبة أكلا الجبل الكبير وذلك بتاريخ 13شوال 1151هـ/1738م.

والملاحظ أن أغلب النساء الحاصلات على مؤخر صداقهن في مرحلة متأخرة تعملن على تحويله الى صدقة جارية في شكل حبس على مرفق ديني غالبا ما كان الجامع الكبير ومرافقه بطنجة هو الموقوف عليه.

ومنهن من كانت توكل من يقوم مقامها بمهام مختلفة فتذكر وثيقة(31) أن مناتة بنت الحاج علي الشلية وكلت عبد السلام بن محمد القصراوي بتاريخ 1 شعبان 1748/1161 وبالمقابل قام رجال بتوكيل نساء لتدبير أملاكهم وتثبت وثيقة(32) مؤرخة بـ 10 صفر 1741/1154 أن السيدة رقية بنت أحمد بن علال الأصيلي تكلفت بتدبير أملاك أخيها محمد خلال غيابه بالحج. كما نصت وثيقة(33) أخرى على تكليف السيد احمد بن عبد الكريم أمجاو السعيدي الطنجي زوجته حمامة بنت سيدي محمد أفيلال الطنجاوي بالوصاية على الأبناء بعد وفاته الى أن يصبح ابنه البكر راشدا.

وهذه الوثائق الأخيرة تؤكد ما أشرنا إليه سابقا بكون المرأة المغربية عامة والطنجية خاصة كانت تتحمل كامل مسؤوليتها في المجتمع الى جانب الرجل، في مختلف المجالات، مما يبرر ما حصلت عليه السيدة رقية بنت محمد بن عبد الملك الريفي من عطاء سلطاني حددته رسالة(34) السلطان عبد الرحمان بن هشام في ما قدره 40 أوقية شهريا من الأحباس.

كما استفادت بعض الإماء، خاصة اللواتي كن يتمتعن بقدر من الجمال، وتمكنن من انجاب أطفال، من الاستفادة من التحرر من العبودية والعتق من معانات ومهانات الرق. والوثائق التي بين أيدينا تذكر أن امبيريكة[35] استفادت من منحة العتق من العبودية من طرف السيد محمد بن أحمد البارودي عندما ولدت الابن سعيد، فكان هذا المولود الجديد بمثابة جواز سفر من عالم العبودية إلى التحرر بالنسبة لوالدته، وتضمنت وثيقة ثانية صك تأكيد عتق سعيد الابن.

الأسماء النسوية الوارد ذكرها في وثائق الحوالة الحبسية:

- رحمـــة (19 مـــرة)
- عائشـــة (13 مـــرة)
- فاطمـــة (13 مـــرة)
- أمينـــة (10 مرات)
- رقيـــة (7 مـــرات)
- خديجـــة (6 مـــرات)
- مناتـــة (3 مـــرات)
- مريـــم (3 مـــرات)
- زهـــرة (3 مـــرات)
- بحريـــة (3 مـــرات)
- الطاهـــرة (مرتيـــن)
- حمامـــة (مرتيـــن)
- عربيـــة (مرتيـــن)
- (مـرة واحـدة): تلايمـاست، أشموس، أوزة، فاطمة – البشيـرة، زيد لمال، عزوز، رقوش، مناس، طامة، هبة، أمة الله، سيمحاء، حلمو، امبيريكة، ميمونة، أم المعاني، زايدة، سعدالسعود، بكيشة، العالية، فوفة، محلا.

خلاصة:

إن ما عاشته طنجة، خلال القرن الثامن عشر، من تحولات عميقة مست مختلف المجالات العمرانية والثقافية والإجتماعية، متأثرة بالتغيرات والاضطرابات السياسية إضافة إلى ضغط الكوارث الطبيعية والصحية، كل ذلك جعل المجتمع الطنجي، بمختلف مكوناته، يستثمر كل طاقاته في إعادة إعمار المدينة وتنميتها وتجاوز كل المعيقات، ومن أهم الطاقات المشاركة في هذا المشروع المجتمعي الخيري، طاقة نسوية أثبتت كفاءتها في ضبط حاجات المجتمع، وجدارتها في إدارة أملاكها، واستقلاليتها في اتخاذ قرارات وقفها لممتلكاتها.

بالإضافة الى ما عبرت عنه المرأة الطنجية من كفاءة وجدارة واستقلالية، أثبتت أيضا:

– توفرها على روح وطنية نادرة، بحضورها الى جانب المجاهدين؛ كأم أو زوجة أو إبنة... وبمساهمتها بحر مالها في إعمار وتعمير المدينة الحديثة العهد بالاستقلال.

– غيرتها القوية على دين الإسلام، وتدينها القوي، عبرت عنهما من خلال كم ونوعية ما قدمته كصدقة جارية لوجه الله، والملاحظ أن أغلب

الأوقاف النسوية كانت لفائدة المؤسسات الدينية؛ المسجد أو مرافقه أو تلاوة الحزب...

ــ حبها ووفاءها لزوجها حتى بعد موته، عبرت عنه بعض وثائق الحوالة الحبسية، حين عملت بعض النساء على تصفية ديون أزوجهن الهالكين، نموذج أرملة بودينار التي باعت دارها لتصفية ديون زوجها مع الأحباس وأرملة الزايدي التي تحبس النصف الثاني من جنان كان زوجها قد حبس نصفه الأول... وهن بذلك تجسدن معنى الوفاء والحب.

اليوم، وبعد أزيد من قرنين من الزمن، على مرور أحداث وشخصيات القرن الثامن عشر، نعود فنطرح الأسئلة التي سبق أن طرحنا نظيرا لها في مقدمة هذا الفصل، لكن هذه المرة، بصيغة الحاضر والمستقبل من قبيل؛ ما هي حصيلة ومجالات وآفاق مساهمة النساء في أعمال البر والتطوع والأحباس بطنجة مطلع القرن الواحد والعشرين؟

الفصل الرابع

بيوتات طنجة
خلال القرن الثامن عشر

قد مـــات قوم ولم تمت مكارمهــم

وعاش قوم وهم في الناس أمـــوات

الإمام الشافعي

مدخل:

إن تناول موضوع بيوتات[1] طنجة خلال القرن الثامن عشر من خلال مصدر رئيس، يجعل عدة أسئلة تتبادر الى ذهن القارئ منها؛

- لماذا التطرق لموضوع من هذا النوع؟
- ما الهدف من بعث الحديث عن بيوتات قد تكون منقرضة؟
- ما الفائدة التي قد نجنيها راهنا من بحث كهذا؟
- لماذا التركيز على مصدر الوثيقة الحبسية؟

على خلاف، ما هدف إليه أصحاب كتب الأنساب قديما وكتب البيوتات؛ ككتاب "بيوتات فاس الكبرا[2]" أو كتاب "بيوتات سلا[3]"...نتناول هذا الموضوع بأهداف مختلفة. ونعتبر أن الجواب على الأسئلة الآنفة الذكر، بسيط وجلي في

1- ورد في كتاب الكفاف ليوسف الصيداوي عن دار الفكر طبعة 1999 بيروت لبنان؛ أن هذا الجمع يدخل في باب جَمْع الجمع: بيت بُيوت بُيوتات، رَجُل رِجال رجالات، طريق طرق طرقات، غَطاء أغطية أغطِيات، فتْح فتوح فتوحات، فَيْض فُيوض فُيُوضات وقد أجاز مجمع القاهرة جَمع الجمع.

2- كتاب "بيوتات فاس الكبرا" شارك في تأليفه إسماعيل بن الأحمر دار المنصور للطباعة والوراقة 1972 الرباط.

3- جان كوسني وأبو القاسم عشاش بيوتات مدينة سلا تحقيق وتعليق نجاة المريني منشورات الخزانة العلمية الصبيحية 1989 سلا المغرب.

ذهن المؤرخ، وعالم الاجتماع، ومفيد بالنسبة للسياسي...فأفراد هذه البيوتات ذكورا وإناثا، على اختلاف أصولهم، وانتماءاتهم القبلية هم الذين صنعوا تاريخ هذه الأرض الطيبة. وهذا التنوع العرقي لأصول ساكنة طنجة وتزاوج البيت الريفي مع السوسي مع الأندلسي مع الجبلي ...هو الذي شكل ملامح النسيج الديمغرافي الطنجي لاحقا.

فمعالجة موضوع البيوتات الطنجية انطلاقا من مصدر تاريخي متميز، هو الحوالة الحبسية لطنجة خلال القرن الثامن عشر، يحتاج الى الكثير من الصبر والتفرغ، لدراسة وثائق أحباس المرحلة المدروسة بهدف الكشف عن الثابت والمتحول في ديمغرافية المدينة، والاقتراب أكثر من تركيبة ساكنتها.

وانطلاقا من مصادرنا الرئيسة ــ وثائق حوالة أحباس طنجة خاصة ــ فإننا لن ندعي التطرق لكل بيوتات طنجة المشهورة، بقدر ما أننا سنتناول بالتفصيل بعض البيوتات التي فرضت نفسها بقوة في الحوالة الحبسية؛ بأحباسها ومعاملاتها المختلفة، وقد تغيب بيوتات أخرى عن بحثنا، لا لشيء سوى لكون أفرادها لم يوثقوا أعمالهم الخيرية أو ــ وهذا مستبعد في مجتمع إسلامي محافظ ــ لم يبادروا إلى التحبيس أو أنهم لم يكونوا قريبين من هذا المحيط.

هذا الأساس المصدري كشف النقاب عن عدد هائل من بيوتات طنجة؛ المسلمة منها واليهودية، عمرت المدينة خلال القرن الثامن عشر، على رغم من ما قد يتوهمه البعض من أن الحوالة الحبسية هي مصدر فقهي بحت. صحيح أن الأحباس معاملة فقهية وحضارية إسلامية، إلا أن توثيق هذه المعاملة تجر الموثق أو العدل إلى الانفتاح على المحيط الاجتماعي والحضاري... لموضوع الحبس، فيجد نفسه مضطرا لذكر معلومات تفيد التوثيق في زمانها، وتفيد المؤرخ لاحقا.

- بيوتات إسلامية ورد ذكرها في وثائق الحوالة الحبسية لطنجة.

بعض الألقاب الوارد ذكرها في حوالة أحباس طنجة:

التمسماني، أقبال التمسماني، الزايدي التمسماني، التمسماني الحمامي، بلكنزة، الريفي، العبدالرزاقي، السوسي، اللغميش، الكريري، الهواري، الشاهد القوس، الحسني، اليدري، الوارايني، أزياد، الزاودي، الأصيلي، الدحداح الأصيلي، الودراسي، بوعراب، الورياغلي، الفراجي، التركي، اشرقي، برغوش، السعيدي، بناصر، الطنجي، تكورت، أوسيدهم، الهادي، بنمسعود، العرنيسي، اليطفتي، الكرايشي، أقلعي، البارودي، التنيير، العرائشي، الوادي، الكزناي، العمارتي، بودينار، أمشوط، أكناو، الزايدي، أمجداو، التناني،

أحرضان، أعراس، اوهارون، أخديم، الخلوف، الغصاوري، أفيلال، الامراسي، الحمامي، الهروال، الحرطاني، الشراط، القصري، الشلية، القصراوي، التوزيني، التوزاني، العمراني، ملول، الشاط الأنجري، أبري، العروسي، الغزواني، البقالي، كبور، العبدالعالي، الزايدي، أوعتو، ازمار، الزناسني، المطالسي، المصوري، الشواط، التليدي، أغمير، حمو، المساري، العيساوي، الصالحي، التطواني، التاميتي، الكناوي، الدرمومي، اغزيبل، الهيشو، السطيطو، الحجاج الشفشاوني، سلمون الودراسي، الزرموري، عمران، المنبهي اليحياوي، اوناصرالخالدي، أفقر، الغزاوي، أميلك الترجوتي، الوزاني الصرصري، حنتوت، الودراسي، الدريدب التطواني، الدكالي، أبرودي، مفرج، بوصوف، الوزاني، الطرابلسي، الأزماني، سكيرج، الهسكوري، بوالعيش، الدهدوه، الشليح، التفرسيتي، جبيط، فنيش، أبعير، الحايك، البخاري، الحسايني، ازمار...[4]

4- لم يخضع ترتيب الألقاب في هذه الصفحة للتنظيم الأبجدي، الذي اعتمدناه خلال الصفحات اللاحقة، ولم نعتمد الترتيب الزمني لصعوبة إثباته وثائقيا.

بري:

ورد ذكر بيت أبري في وثيقة[5] حبسية بطنجة مسجلة بتاريخ فاتح

رمضان 1135هـ/1722م في شخص أبو بكر أبري الذي باع زينة حانوت

رحبة الزرع لناظر الأحباس بقيمة 30 أوقية.

وبيت أبري لازال الى يومنا هذا تتواجد أسره بفرقة بني شيكر

نطقة كبدانة بإقليم الناظور والظاهر أن أفرادا من هذا البيت كانوا ضمن

رة قلعية في جيش المجاهدين الأوائل (رحى الريف الاسماعيلية) الذي فتح

نية.

بعير:

ورد ذكر بيت أبعير على وثيقة[6] حبسية تحدد موقع دار اشتراها

لقر قبالة دار الحاج محمد أبعير مسجلة بتاريخ فاتح محرم

الاهـ/1792م.

حوالة أحباس طنجة ص 319.

حوالة أحباس طنجة ص31

اجزنـــاي

ورد ذكر بيت أجزناي (بالكاف المعقوفة) في عدة وثائق بالحوالة الحبسية نقف على نموذجين: الوثيقة الأولى[7] مسجلة بتاريخ 13 ربيع الأول 1218هـ/1803م، تتضمن إراثة الهالك علي بن موسى أجزناي والوثيقة الثانية[8] مسجلة بتايخ 28 شوال1809/1224 تتضمن توكيل لفائدة محمد بن علي أجزناي، ووردت أيضا وثيقة لاحقة تشير إلى أن السيد الحاج محمد بن أبي يعزى اجزناي شغل منصب عريف الجزارة بسوق الجزارين.

وأسر بيت أجزناي جمعت دورها في حومة داخل سور المدينة عرفت باسمها " حومة أجزناي"[9] كما أنها استفادت مقابل خدماتها العسكرية في جيش المجاهدين من أراضي فلاحية خارج المدينة.

وأرض قبيلة اجزنايا تمتد في الريف الشرقي بين قبائل بني توزين والمطالسة وتافرسيت، ساهم سكانها بفرقة في جيش تحرير طنجة تحت قيادة القايد علي بن عبد الله أواخر القرن 17.

7- حوالة أحباس طنجة ص 72
8- حوالة أحباس طنجة ص 72
9- حوالة أحباس طنجة ص 312

أحـــرار:

تعود أصول هذا البيت إلى قبيلة تافرسيت، التي تحد شرقا بقبيلة بني وليشك وقبيلة المطالسة، وشمالا بقبيلة تمسمان، وتحيط بها غربا وجنوبا قبيلة بني توزين.

مارس أهله مهام المخازنية والزراعة، وتذكر وثيقة[10] متضمنة بالحوالة أن عبدالسلام أحرار كان يملك أرضا بالبحريين بفحص طنجة قرب أراضي الأحباس بتاريخ 1203هـ/1788م.

أحرضـــان

ورد ذكر بيت أحرضان في عدة وثائق بالحوالة الحبسية نقف على نموذجين: الوثيقة الأولى[11] مسجلة بتاريخ 22 ذي الحجة 1748/1162 في اسم أمينة بنت محمد أحرضان الكبير التمسماني، والوثيقة الثانية[12] مسجلة بتايخ 6 ذي الحجة متم 1203هـ/1788م باسم السيد عبد الواحد أحرضان يشهد في قضية أولاد بوكزمة.

10- حوالة أحباس طنجة ص 245

11- حوالة أحباس طنجة ص 361

12- حوالة أحباس طنجة ص 21

وبيت أحرضان حسب ما ورد في وثائق حبسية مختلفة من أصول تمسمانية تمكن أفراده من احتلال مراكز اجتماعية متميزة وأطلق اسم هذا البيت على حومة بالمدينة تتركز بها أغلب دور هذه الأسر.

أخديم

ورد ذكر بيت أخديم في عدة وثائق منها، وثيقة[13] حبسية بطنجة مسجلة بتاريخ 13 جمادى الأولى 1162هـ/ 1748م تحمل أسماء سي الطاهر بن المقدم عبد السلام أخديم وعائشة بنت المقدم عبد السلام أخديم وعبد الله بن المقدم عبد السلام أخديم ومنانة بنت عبد الله أخديم والمقدم يوسف أخديم وعبد السلام بن أحمد أخديم.

وبيت أخديم حسب ما ذكره ميشو بلير[14] ينحدر من الجبل الحبيب أشتغل أفراده بالتجارة والأملاك العقارية.

أزماني أو العزماني

ورد ذكر بيت الأزماني في وثيقة[15] حبسية بطنجة مسجلة بتاريخ 8 شعبان 1178هـ /1764م لما عجز الحاج محمد بن أحمد العزماني التراث عن

13- حوالة أحباس طنجة ص 324

14- Tanger et sa zone pp 202.

15- حوالة أحباس طنجة ص 375

القيام بوصية الهالك أحمد بن محمد القصري التمساني على بنتيه رحمة ورقية عين القاضي عمهما سي محمد بن عبد الله القصري "

والعزيماني باللغة العربية في الوثيقة العدلية المذكورة ترجمها ميشو بلير الى الأزماني ولازالت أسر طنجاوية عريقة تحمل الاسم الثاني الى يومنا هذا.

ترتبط فرقة بني عزيمان إحدى فرق بني توزين بمنطقة الدريوش بالريف الشرقي، والظاهر أن أفرادا منها كانوا مقيمين بطنجة منذ القرن الثامن عشر، وقد يكون منهم من شارك في الفتح.

اسطيطو:

ورد ذكر بيت اسطيطو على وثيقة[16] حبسية في شخص الحاج محمد اسطيطو الشفشاوني زوج المرأة الخيرة رقية مسجلة بتاريخ 24 شوال 1169هـ/1755م

وبيت اسطيطو يتوزع في الشمال بين طنجة وشفشاون ومختلف القبائل الجبلية.

16- حوالة أحباس طنجة ص 325

أشرقي

ورد ذكر بيت أشرقي في عدة وثائق بالحوالة الحبسية نقف على بعضها؛ الأولى[17] بتاريخ 7 رمضان 1160هـ/1747 يحبس فيها محمد بن ع القادر أشرقي جنان بالرمل وجلسة[18] حانوت بسوق العطارين على الجامع الكبير. ووثيقة ثانية، بنفس صفحة الحوالة، سجلت خلال محرم 1161هـ /1748م يحبس فيها الفقيه عبد الرحمن بن عبد القادر أشرقي غرفة بحومة الخرازين على الجامع الكبير. أما الوثيقة الثالثة[19] فهي مسجلة بتاريخ 15 ربيع الثاني1209هـ/1794م يعلن فيها عبد الرحمان اشرقي بناء غرفة للحبوس قرب فرن مرغيش يذهب نصف مداخيلها لفائدة طلبة قراءة الحزب في الجامع الكبير.

ـ أعراس:

ينتمي بيت أعراس إلى قبيلة بني ورياغل دخل أفراده في خدمة العرش العلوي منذ العهد الإسماعيلي بعد إخماد حركة تمرد في الشمال.

17- حوالة أحباس طنجة ص 293

18- الجلسة : هي في عرف الأحباس عقد كراء مدة من أعوام تنقضي بانقضاءها: وترتبط غالبا بكراء العقارات المبنية كالحوانيت والحمامات...

19- حوالة أحباس طنجة ص 32

ورد ذكر بيت أعراس على وثيقة[20] حبسية في شخص محمد بن عبد السلام أعراس مسجلة بتاريخ 17 ذي القعدة 1264هـ/1847م.

ويذكر الناصري[21] أن المولى الرشيد توجه في حملة إلى الريف بقصد الثائر عبد الله أعراس وقبض عليه في رمضان 1076هـ/1665م وعفا عنه واستبقاه قائدا على الريف فأصبح حليفا قويا لحركة المولى الرشيد، فعندما نازل أخاه المولى محمد قرب تمسمان يذكر الضعيف[22] أن صاحبه وخديمه القايد أحمد أعراس كان يؤازره، وفي سنة 1082هـ/1671م قاد عبد الله أعراس المديلي الريفي حملة على السوس.

ـ أغزييل:

ورد ذكر بيت أغزييل في وثيقة[23] حبسية بطنجة مسجلة بتاريخ 6 ذي الحجة متم 1203هـ/1788م في شخص الحاج محمد بن الحسن أغزييل، يشهد ضمن بينة تضم اثنى عشر شاهدا، في قضية محمد وامحمد اولاد علي

20- حوالة أحباس طنجة ص 121

21- الناصري مصدر سابق ص47

22- الضعيف مصدر سابق ص 55

23- حوالة أحباس طنجة ص 21

بوكمزة الذين أصدر السلطان محمد بن عبد الله في حقهما أمرا بمصادرة أملاكهما.

ـ أقبال:

ورد ذكر بيت أقبال في وثيقة[24] حبسية بطنجة مسجلة بتاريخ 30ربيع الثاني 1165هـ/1751م في شخص العربي بن علي أقبال التمسماني يشهد بأملاكه لزوجته الطاهرة بنت الحاج محمد أقبال.

وبيت أقبال حسب ما ورد في وثائق حبسية مختلفة من أصول تمسمانية تمكن أفراده كذلك من احتلال مراكز اجتماعية متميزة.

ـ أقلعي:

نسبة إلى قبيلة قلعية بالريف[25] الشرقي، ورد ذكر بيت أقلعي في عدة وثائق بالحوالة الحبسية، تغطي زمنيا القرن الثامن عشر؛ فقد ورد ذكر سي محمد أقلعي مرتين على لانحتي[26] مكتري أملاك الأحباس سنتي 1158هـ/1745م و1166هـ/1752م أما السيد احمد بنعلي أقلعي فقد ورد

24- حوالة أحباس طنجة ص 373

25- أنظر تفاصيل ومعلومات عن هذه القبائل المذكورة في مرجع Auguste Molierasعلى الصفحات التالية:pp94 pp87 pp118 pp90 pp141 .

26- حوالة أحباس طنجة ص 368 وص 361.

ذكر اسمه كناظر احباس الزاوية التهامية في وثيقة[27] مسجلة بتاريخ 2 ذي القعدة 1803/1218 قام بعملية معاوضة حبسية مع اليهودي هارون بن داوود طابيرو في شأن ورشتي درازة.

ومن خلال لقب هذا البيت يتضح انتماؤه الى قبيلة قلعية التي كان أفرادها يشكلون فرقة من فرق جيش الريف، وهذه القبيلة حسب ما ذكره موليراس[28] تتكون من عدة فرق بالريف الشرقي، لامتداد مجالها الجغرافي.

ـ الأمراسي:

نسبة الى فرقة بني أومراس وهي إحدى فرق قبيلة بني عروس، كما تذكر الوثيقة الحبسية اللاحقة.

ورد ذكر بيت الأمراسي في شخص علي بن عبد الله الامراسي ضمن لائحة شهود[29] إراثة الحسن بن عبد الكريم التمسماني مسجلة بتاريخ 24 رجب 1159هـ/1746م.

27- حوالة أحباس طنجة ص37.

28- Le Maroc inconnu pp164

29- حوالة أحباس طنجة ص 287

ـ أوسيدهم:

ورد ذكر بيت أوسيدهم، ضمن بيوتات طنجة على صفحة وثيقة حبسية، في شخص السيد عمر أوسدهم، الذي تولى منصب ناظر أحباس طنجة، و تكلف بصرف راتب شهري قدره أربعة مثاقيل في كل شهر للفقيه السيد خالد بن عبد الهادي، إعانة له على تدريس العلم، والوثيقة مسجلة بتاريخ 28 قعدة عام 1216هـ/1801 م.

ـ أوهارون :

بيت أوهارون من البيوت التي تواجدت بطنجة خلال القرن الثامن عشر وتعود أصول هذا البيت إلى قبيلة بني ورياغل الريفية اشتغل أفراده بالتجارة والعقار.

ـ البخاري:

أرسل السلطان محمد بن عبد الله فرقة من 1500 من البواخر بقيادة الشيخ البخاري سنة 1180هـ/1766م إلى طنجة في محاولة من السلطان لتحقيق التوازن بين عناصر جيش الريف، الذي تم تهجير معظم أفراده إلى المهدية، وجيش العبيد الذي استوطنت فرقه طنجة والمناطق المحيطة بها لمدة 11 سنة ليعود نفس السلطان لنقلهم من جديد عن طنجة، سنة 1191هـ

/1777م وكان طبيعيا أن تترك هذه الفئة بصماتها على النسيج الإجتماعي للمدينة، ولازال بيت البخاري حاضرا ضمن بيوتات مدينة طنجة، من أصول مختلفة *.

ـ البقالي:

ينحدر أولاد البقال من مدشر الحرايق بقبيلة غزاوة التي تحد شرقا بقبيلة بني احمد، وشمالا بقبيلة الأخماس، وغربا قبيلة رهونة، وجنوبا بقبيلة بني مسارة العليا.

من أقدم الوثائق التي وردت في الحوالة الحبسية بطنجة، وصية[30] السي محمد بن عبد الله الحاج البقال الغزاوي الحسني يوصي فيها بتحبيس أملاك على ضريحه لفائدة الطلبة الذين يتلون به الحزب ويقيمون الصلاة. مسجلة بتاريخ 20 جمادى الثانية 1126هـ/1714م.

وقد أثار مضمون الوصية نقاشا حول طبيعتها ـ جعل الوقف لصالح ضريح الواقف ـ حسمه القاضي اعتمادا على مختصر خليل بكون الوصية شرعية، ومن حق الإنسان أن يوصي بحبس لفائدة ضريحه.

* - ذكر الأستاذ والفاعل الجمعوي الأستاذ محمد البخاري أن أصول هذا البيت مختلفة منها أسر تعرف بهذا الإسم وفدت مع الحجيج المغربي من الشرق.

30- حوالة أحباس طنجة ص 176

اشتهر السي محمد بن عبد الله الحاج البقال بورعه وعرف ببوعراقية*، توفي سنة 1131هـ/1718م.

ـ بنعجيبة:

ورد ذكر بيت ابن عجيبة في وثيقتين الأولى[31] مؤرخة ب 1 رجب 1621هـ/1748م وهي عبارة عن إراثة تضمنت اسم السيدة طامة العجيبية أرملة عبد القادر بن محمد أوعلا التمسماني البوديناري.

أما الوثيقة الثانية[32] بتاريخ 14 رمضان 1258هـ/1842م، فرغم أنها متأخرة إلا أنني ارتأيت أن أدرجها لما لها من أهمية خاصة، فهي تبين المكانة العلمية لهذا البيت، من خلال أمر في رسالة السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، الى باشا المدينة السيد بوسلهام بن علي، لصرف راتب قدره 60 أوقية، من مداخيل الأحباس، وتوفير دار، للفقيه سيدي أحمد بن أحمد بن عجيبة، مقابل الدروس التي يقدمها.

---

*- الطاقية أو الطربوش والعراقة في اللغة العربية ما يحيط بالأذن.

31- حوالة أحباس طنجة ص 346

32- حوالة أحباس طنجة ص 266

ـ بنعزوز:

ورد ذكر بيت بن عزوز على وثيقة[33] حبسية في شخص العدل محمد بالعربي بنعزوز مسجلة بتاريخ 6 ربيع الثاني 1165هـ/1751م، يؤكد شهادة عدول بتازة باعتباره يزاول مهمة العدل بطنجة.

ارتبط بيت بنعزوز بأسر وافدة من الأندلس كما ارتبط أيضا بأسر أخرى وافدة من بني ورياغل من فرقة إعزوزن.

ـ بوالعيش:

ذكر الدّلائي صاحب درّة التيجان[34] في حق الشرفاء العيشونيين أن أبو العيش هو سيدي أحمد بن القاسم كنون، بن محمد ابن القاسم، ابن ادريس الأزهر، صاحب قلعة حجر النسر بقبيلة سماتة، ومن ذريته أولاد القمور، وأولاد شتوان، وأولاد أبي العيش، وأولاد الصروخ، أولاد اسطيطو، وأولاد

33- حوالة أحباس طنجة ص 316

34- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي ت 1141 هـ مؤرخ، من خطباء المالكية. نسبته إلى مسقط رأسه بالزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط. سكن بفاس وأخذ عن شيوخها، وكان خطيبا بالمدرسة البوعنانية، توفي بمكة، له عدة تآليف، منها "درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان" وهو عبارة عن أرجوزة في أنساب الأشراف.

على صحة نسبهم الشريف وضرورة توقيرهم، وكما تواجد أولاد أبو العيش ببني كرفط تواجدوا أيضا بقبيلة الأنجرة وعرفوا بأولاد أبي العيش الأنجريين. سلطانية[35] وحثت عدة ظهائر توقير الهاني، وأولاد القجدار...

وقد ورد ذكر هذا البيت على صفحة وثيقة بالحوالة الحبسية تضمنت مقتطف من رسالة السلطان المولى سليمان يعين "الشريف الفقيه سيدي محمد بن علي بن أبي العيش الأنجري خطة القضاء على طنجة المحروسة بالله والنواحي"[36] بتاريخ 8 ذي القعدة 1243هـ/1827م، على أن يتوصل بإعانة شهرية قدرها 10 مثاقيل من ناظر الأحباس.

– بوصوف:

يرجع أصل هذا البيت إلى قبيلة بقيوة[37] بالريف، عرف بكونه بيت علم تقلد أحد أفراده مهمة المحتسب، فقد ورد في رسالة

35- حثت عدة ظهائر بيد الشرفاء العيشونيين على توقيرهم منها، الظهير المورخ باثنين وأربعين ومائة وألف 1142هـ، والظهير المورخ بعام سبعين ومائة وألف 1170هـ، والظهير المورخ بعام اثنين وسبعين ومائة وألف 1172هـ.

36- حوالة أحباس طنجة ص213

37- قبيلة بقيوة من القبائل المجاهدة على طول الساحل الريفي غرب موطن قبيلة بني ورياغل، وشرق بني بوفراح شمال بني يطفت انظر جرمان عياش أصول حرب الريف ترجمة محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق الخريطة الثانية الملحقة الشركة المغربية المتحدة 1992 الرباط.

سلطانية[38] ضمن وثائق الحوالة الحبسية إلى القائد عبد الله بن عبد الملك تأمره بأن يدفع للمحتسب[39] السيد محمد بوصوف ستين أوقية يأخذها من أحباس طنجة هي راتبه ولا يقبض شيئاً من الباعة على الأسعار. متم محرم 1215هـ/1800م.

_ التطواني:

تكرر ذكر البيت التطواني على صفحات وثائق الحوالة الحبسية وذلك لإحالة النسب على مدينة تطوان كقول الحاج محمد بن أحمد التطواني أو الحاج العربي بن الحسن الدريدب التطواني ...

فالوثيقة[40] التي ذكرت الحاج العربي بن الحسن الدريدب التطواني مسجلة بتاريخ 1153هـ/1740م

ووثيقة ثانية[41] ذكرت الحاج محمد بن أحمد التطواني مسجلة بتاريخ 1169هـ/1755م.

38- حوالة أحباس طنجة ص 44

39- المحتسب: منصب إداري إسلامي، كان يقوم صاحبه بمراقبة الحياة العامة والمحافظة على الأخلاق في المجتمع وضبط المعاملات التجارية في الأسواق. انظر كتابنا معجم المفاهيم والمصطلحات الموجه لتلاميذ التعليم الثنوي التأهيلي.

40- حوالة أحباس طنجة ص 376

41- حوالة أحباس طنجة ص 318

ـ التفرسيتي:

نسبة إلى قبيلة تافرسيت بالريف الشرقي، تحد شرقا بقبيلة بني وليشك وقبيلة المطالسة، وشمالا بقبيلة تمسمان، وغربا وجنوبا بقبيلة بني توزين.

ورد ذكر هذا البيت في وثيقتين الأولى[42] مسجلة بتاريخ 4 ذي الحجة 1166هـ/1752م تذكر أن الحاج محمد بن امحمد بن منصور التفرسيتي باع حانوتا لناظر الأحباس بسوق الخرازين بطنجة.

أما علي بن احمد عربة التفرسيتي، فورد ذكره الى جانب شهود ثقة، ضمن لائحة شهود أحباس اراضي أحواز طنجة على وثيقة[43] مسجلة بتاريخ أخر ذي القعدة الحرام 1171هـ/1757م.

42- حوالة أحباس طنجة ص 323

43- حوالة أحباس طنجة ص 289

ـ التمسماني:

تعود أصول هذا البيت إلى قبيلة تمسمان[44] وسط قبائل الريف بالشمال المغربي، تحد هذه القبيلة شمالا بالبحر الأبيض المتوسط غربا بقبيلة بني ورياغل وشرقا ببني سعيد وبني وليشك وجنوبا ببني توزين، ساهم موقع القبيلة على كاب أو رأس كويتالس، الممتد في البحر، على خوض حركات جهادية بحرية منذ القديم، وأسس أهل الريف عموما رباطات على طول الساحل الشمالي وبتمسمان كان رباط مزاحم أبي داوود[45] مركزا متقدما ضد كل معتد على السواحل المغربية.

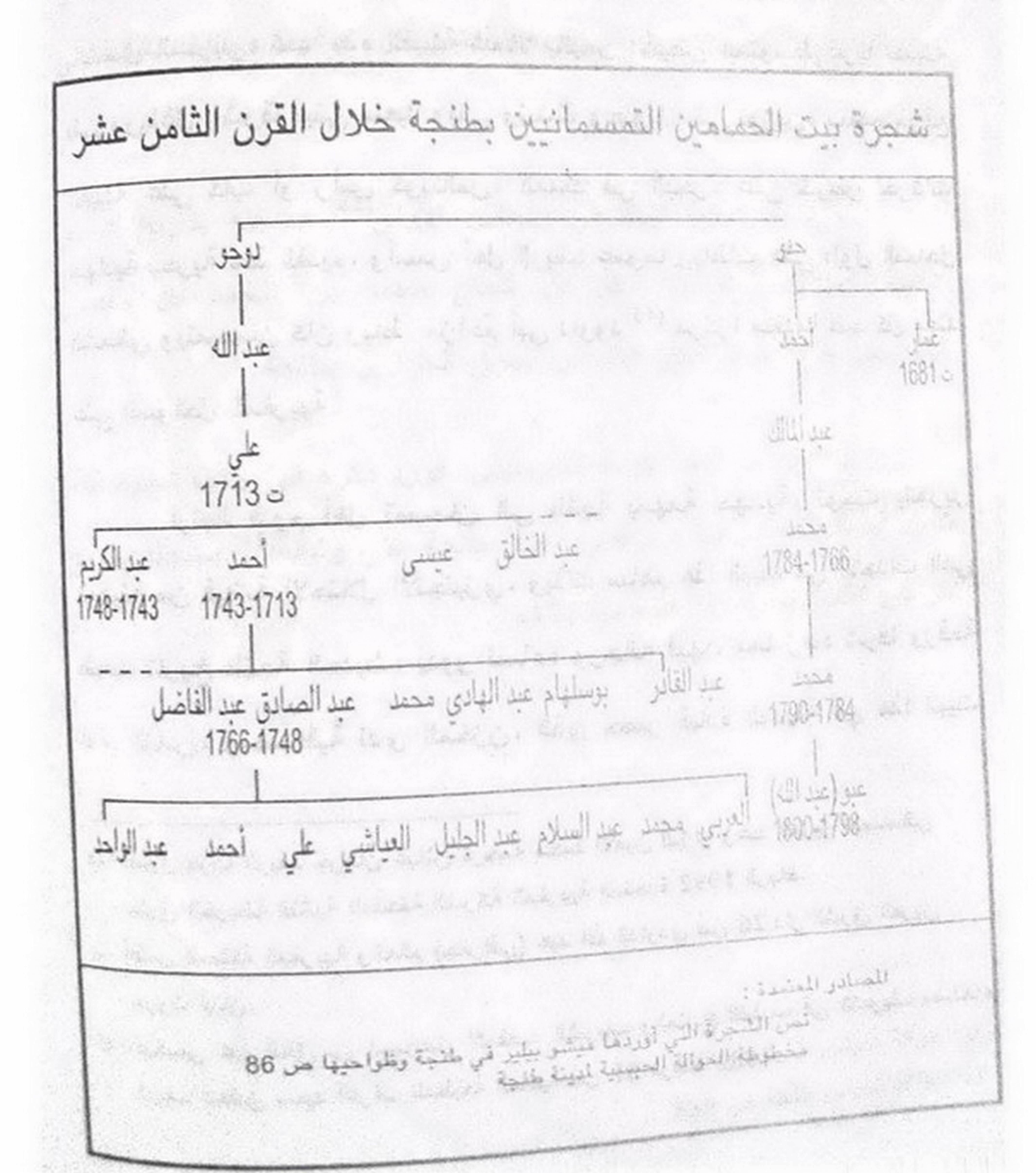
ارتبط قدوم أهل تمسمان الى طنجة بمهمة جهادية، توجت بتحرير المدينة من قبضة الاحتلال الأنجليزي، وبذلك ساهم هذا البيت في الأحداث التي طبعت تاريخ طنجة الحديث، بدور نساءه ورجاله فيها، مما زاده شرفا ورفعة لدى الناس، ومصداقية لدى المخزن، الذي حصر قيادة المدينة في هذا البيت

44- أصول حرب الريف جرمان عياش ترجمة محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق الخريطة الثانية الملحقة الشركة المغربية المتحدة 1992 الرباط.

ـ أطلس المملكة المغربية والعالم (جغرافي) عبد الله الداودي ص 26 دار الشرق العربي بيروت لبنان.

45- البادسي عبد الحق بن إسماعيل "المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف" تحقيق سعيد أعراب المطبعة الملكية ص 51 الرباط 1982.

لزمن طويل، وبذلك احتكر السلطة والجاه بالمدينة وفحصها، ولازال هذا البيت يحظى باحترام وتعظيم رغم النكبات والهزات التي عرفها تاريخ طنجة الحديث.



حسب الوثائق التي بين أيدينا، فإن القاندين عمار بن حدو وعلي بن عبد الله بندحو، تجمعهما قرابة العمومة، وعنهما تفرعت بطنجة عدة أسر منها؛ أولاد بن عبد الكريم، أولاد بن عبد الصادق، أولاد بلعبوة أولاد بن عبد المالك...

حضر أفراد هذا البيت بكثرة في وثائق أحباس طنجة على امتداد القرن الثامن عشر في إطار عدة معاملات تعود إلى عهد الفتح ودخول المسلمين إلى المدينة، بأسماء مختلفة ملحقة بلقب التمسماني ك: التمسماني الحمامي، العيساوي التمسماني، أفروخ التمسماني، التمسماني إبوديناري، أقبال التمسماني، أحرضان التمسماني...

وبعد الاستقرار النهائي بثغر طنجة، عمل أفراد البيت التمسماني رجالا ونساء، لتذويب الخصوصيات القبلية، على التزاوج مع أفراد بعيدين كل البعد عن هذا البيت بل حتى عن العنصر الريفي، والأمثلة كثير في هذا الباب:

– خديجة بنت الحسن الشريف التمسماني تتزوج الحاج العربي بن الحسن الدريدب التطواني سنة 1153هـ/1740م على صداق 30 مثقالا[46].

46- حوالة أحباس طنجة ص 376

ـ عبد القادر بن محمد أوعلا من البيت التمسماني اليوديناري تزوج المرأة طامة العجيبية أي من بيت أولاد ابن عجيبة الأنجري الأندلسي سنة 1162هـ/1748م[47].

والأمثلة كثيرة في وثائق الحوالة؛ تبرز مدى اختلاط الدماء الطنجية لدرجة أنه أصبح في مرحلة لاحقة يصعب معه تحديد الانتماء القبلي، بل عوض بالانتماء للمدينة.

تكرر ذكر البيت التمسماني كثيرا على صفحات وثائق حوالة الأحباس، نورد هنا بعض الحالات موزعة في الزمن خلال القرن الثامن عشر:

ـ 30 رمضان 1134هـ/1721م الفقيه سي عبد الرحمان بن محمد العيساوي التمسماني (ص 319).

ـ 19 جمادى 1151هـ/1738م عبد المالك بن القائد حدو التمسماني (ص314).

ـ 20 صفر 1153هـ/1740م المعلم أحمد أفروخ التمسماني (ص313).

47- حوالة أحباس طنجة ص 346

ـ 1162هـ/1748م أمينة بنت محمد أحرضان الكبير التمسماني(361).

1751/1165 العربي بن علي أقبال التمسماني وزوجته الطاهرة بنت الحاج محمد أقبال (ص373).

ـ 21 شعبان 1206هـ/1791م الناظر سي محمد بن دينار التمسماني (ص254).

ـ 24 ذي الحجة عام 1212هـ/1797م، القائد عبد الله بن عبد الملك التمسماني[48].

ـ **التوزيني**:

نسبة إلى قبيلة بني توزين[49]، وسط قبائل الريف تحدها شرقا قبيلة تافرسيت وقبيلة المطالسة، وشمالا قبيلة تمسمان، وغربا قبيلة بني ورياغل، وجنوبا قبيلة كزناية.

48- ورد ذكره ضمن رسالة من السلطان مولاي سليمان إلى القائد عبد الله بن عبد الملك التمسماني يأمره فيها أن يكون عوناً لممثل القنصلية الأمريكية بطنجة على تعويض بقعة حبسية بطنجة بما هو أنفع للحبس ليبني به داراً مساواة له مع غيره من قناصلة الدول بطنجة، مسجلة بتاريخ الرسالة 24 ذي الحجة عام 1212 هـ/ 1797 م.

وفد بعض أفراد هذه القبيلة على طنجة، كمجاهدين ضمن رحى الريف التي قادها عمار بنحدو وأحمد بنحدو وعلي بن عبد الله.

تردد كثيرا ذكر بيت التوزيني على صفحات وثائق الحوالة الحبسية وأحيانا مصحوبا بألقاب أخرى كلقب؛ التوزيني العمراني، التوزيني الموحسيني[50] التوزيني الحسني[51]... مما يدل على كثرة أفراد هذا البيت، ونذكر بعض النماذج انطلاقا من هذه الوثائق على سبيل المثال:

وثيقتين مسجلتين بتواريخ مختلفة؛ الأولى 1158هـ/1745م والثانية[52] 1166هـ/1752م تشيران إلى يحيى التوزيني ضمن لائحة مكتري أراضي الأحباس.

49- تمتد أرض قبيلة بني توزين حول ميضار ويرجع أصل اسم هذه القبيلة إلى بني توجين فتم تحريف الجيم الى زاي لسهولة مخرجه فسموا بني توزين وهم اخوة بني عبد الواد بن بار بن رمسيك بن واسيرا من قبائل زناتة البربرية. انظر:

– البوعياشي الحاج أحمد حرب الريف التحريرية دار أمل طنجة 1974 ج 1 صفحة 108.

– Auguste moulieras le maroc inconnu exploration du rif decembre 1895 pp113 Paris France.

50- حوالة أحباس طنجة ص 315

51- حوالة أحباس طنجة ص95

52- حوالة أحباس طنجة ص361

وثيقة[53] شهادة حسن السيرة لعبد القادر بن محمد بن فارس التوزيني في شأن قضية بوكمزة بتاريخ 25 ذي القعدة 1206هـ/1791م.

وثيقة أخرى[54] تذكر أن محمد بن احمد بن ميمون التوزيني العمراني يعترف بمؤخر صداق زوجته عائشة بنت محمد ملول التوزيني قدره 30 مثقال دفع نصفه مقابل بستان بقصبة أكلا بالجبل الكبير بتاريخ 13 شوال 1151هـ/1738م.

- جيبط:

ورد ذكر بيت جيبط في وثيقة[55] حبسية بطنجة مسجلة بتاريخ 1166هـ/1752م ضمن لائحة مكتري الأراضي الحراثية الداخلة في ملك الأحباس إلى جانب، السي محمد أقلعي ويحيى التوزيني وابن احساين وابن فارس، وامدجاو، والبشير، ومحمد القلعي، وعلال التخوس، وعلي أبعير وعمار السعيدي.

53- حوالة أحباس طنجة ص17

54- حوالة أحباس طنجة ص298.

55- حوالة أحباس طنجة ص 361

ـ الحاحي:

ورد على ثغر طنجة المحروسة أحد كتاب دار المخزن الفقيه الكاتب سيدي الحاج محمد بن علي الحاحي في ربيع الثاني عام أربعة وثمانين ومائة وألف 1184هـ/غشت 1770م ليتتبع على ما يبدو الأوضاع العامة التي كانت تتميز بعدم الاستقرار بطنجة والتي تطلبت من السلطان سيدي محمد بن عبد الله نقل جيش الريف الى المهدية وارسال فرقة عبيد البخاري الى طنجة، قصد تحقيق نوع من التوازن.

وقد كان لهذه الشخصية تأثير قوي على السلطة المحلية بثغر محروسة طنجة، باعتبار أن الحاج محمد الحاحي كان يحظى بلقب " كاتب دار المخزن ومنفذ الأوامر السلطانية"[56] من خلال ما تؤكده وثيقة حبسية مسجلة بتارخ نهاية سنة 1191هـ/ 1777م.

ـ الحايك:

ورد ذكر بيت الحايك، ضمن بيوتات طنجة على صفحة وثيقة حبسية[57]، في شخص الحسن بن محمد الحايك الأنجري، الذي تحمل مسؤولية

56- حوالة أحباس طنجة ص 272

57- حوالة أحباس طنجة ص 349.

الوصاية على أبناء وبنات وأرملة عياد العاسر والوثيقة مسجلة بتاريخ 30 رجب 1163هـ/1749م.

وقد برز من بين أفراد هذا البيت خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر محمد بن الحسين الحايك[58] توفي سنة 1214هـ/1799م له " كناش أشعار الموسيقى الأندلسية وترتيبها " كما ذكر الضعيف الرباطي أنه ختم الألفية بتطوان على يد الفقيه القاضي أبي زيد عبد الرحمن الحائك[59] المتوفى سنة 1237هـ.

ـ الحسايني:

ورد ذكر بيت الحسايني في شخص عبد القاسم بن محمد الحسايني على صفحة وثيقة[60] حبسية مسجلة بتاريخ 15 ذي الحجة1151هـ/1738م.

وبيت الحسايني قد يكون له ارتباط بضريح سيدي احساين بضواحي طنجة والظاهر أن الضريح يعود لأحد الشرفاء المجاهدين المساهمين في تحرير المدينة.

58- عبد الله بن ادريس الداودي أطلس تاريخ المغرب ص 124 دار الشرق العربي 2013 بيروت لبنان.

59- الضعيف ص187.

60- حوالة أحباس طنجة ص 313

ـ الدحداح الأصيلي:

ورد ذكر هذا البيت في شخص الهاشمي بن أحمد الدحداح الأصيلي[61] يملك دكان قرب باب الفحص بمحاداة سور المدينة ويبيعه للحاج عبد السلام أوعقو التوزاني باسم الطاهر بن عبد الحق فنيش بقيمة 50 أوقية بتاريخ 6 جمادى الأولى 1205هـ/1790م.

كما ورد ذكر اسم الأصيلي نسبة إلى مدينة أصيلة في شخص محمد بن أحمد الأصيلي على وثيقة مسجلة بتاريخ 10 صفر 1154هـ/1741م، يبيع فيها حانوت بسوق الخرازين قبل رحلته الى الحج للحاج عبد الرحمان البادودي بما قيمته مائة أوقية على أن تتكفل رقية أخت البائع برد المبلغ المذكور للمشتري بعد سنة وتسترد الحانوت.

ـ الدهدوه:

ورد ذكر هذا البيت في شخص الحسن بن ابراهيم الدهدوه الانجري، الى جانب مجموعة من الشهود الثقاة، ضمن لائحة شهود أحباس اراضي

61- حوالة أحباس طنجة ص 356

أحواز طنجة على وثيقة[62] مسجلة بتاريخ آخر ذي القعدة الحرام 1171هـ/1757م.

ـ الزاودي:

ورد ذكر بيت الزاودي على وثيقة[63] حبسية في شخص علال بن موحا بن أحمد الزاودي الذي توفي عن زوجته عائشة بنت أحمد الطلال الانجري وباعت الدار القديمة قرب باب الفحص قرب دار اليهودي كريسو مسجلة بتاريخ 20 رمضان 1157هـ/1744م.

ـ الزهاني:

ورد ذكر بيت الزهاني في شخص الحاج علي الزهاني على صفحة وثيقة[64] حبسية تؤكد أن الشخص المذكور كان معلم دراز يشتغل بورشة درازة كانت حبسا على الجامع الكبير الى حدود 15 رمضان 1203هـ/1788م.

62- حوالة أحباس طنجة ص 289

63- حوالة أحباس طنجة ص 28.

64- حوالة أحباس طنجة ص 380

ـ الزايدي:

ورد ذكر بيت الزايدي في عدة وثائق بالحوالة الحبسية نقف على ثلاث نماذج تشير إلى أن أفراد هذا البيت التمسماني الذي دخل طنجة مجاهدا في سبيل الله تحولوا من مهام قتالية الى العلم والتجارة: الوثيقة الأولى[65] مسجلة بتاريخ 15 جمادى الأولى 1183هـ/1769م تذكر أن العدل سي محمد بن عبدالله الزايدي يشهد مع عدل ثاني أن سي عبد الله العبدالعالي الزايدي بنى غرفة حبس لفائدة مسجد سيدي الشيخ (مقر الزاوية التيجانية فيما بعد)

الوثيقة الثانية[66] مسجلة بتاريخ فاتح صفر 1185هـ/1771م تشير إلى أن السيد محمد بن حسين الزايدي البزاز (أي بائع الأثواب) باع لناظر الأحباس حانوتين بسوق البقالين بما قيمته 36 مثقال.

الوثيقة الثالثة[67] تشهد أن الناظر السي الطيب بن الحاج العياشي الزايدي بنى ثلاث حوانت قبالة فندق القاعة قرب باب دار الدبغ وغرف ودار وسقاية... لفائدة أحباس الجامع الكبير الوثيقة مسجلة بتاريخ 15 شوال 1226هـ/1811م.

65- حوالة أحباس طنجة ص304

66- حوالة أحباس طنجة ص352

67- حوالة أحباس طنجة ص239

ـ الزيلاشي:

ورد ذكر هذا البيت في شخص علي بن عمار الزيلاشي، الى جانب مجموعة من الشهود الثقاة، ضمن لائحة شهود أحباس اراضي أحواز طنجة على وثيقة[68] مسجلة بتاريخ آخر ذي القعدة الحرام 1171هـ /1757م.

ـ السعيدي:

تردد ذكر أفراد من بيت السعيدي عدة مرات على صفحات وثائق الحوالة الحبسية ولازم اسم هذا البيت ألقاب ثانية كتكورت السعيدي والسعيدي المريني والسعيدي الأنجري وأملاح السعيدي والعاشور السعيدي والسعيدي التاميني.

فإحدى الوثائق[69] تذكر سي عبد الرحمان بن الطاهر تكورت السعيدي يحبس ملكا لفائدة قراءة الحزب بالزاوية الناصرية مسجلة بتاريخ 15 شوال 1211هـ/1796م.

وثيقة ثانية[70] تحمل اسم المرابط احمد بن علي بن موسى السعيدي يحبس غرفة بتاريخ 24 محرم 1160هـ /1747م.

68- حوالة أحباس طنجة ص 289

69- حوالة أحباس طنجة ص 361

70- حوالة أحباس طنجة ص 293

وثيقة أخرى[71] تذكر عيسى بن حموأملاح السعيدي يحبس حمل ملح من ملاح طنجة البالية لفائدة مسجد سيدي بوشتى القصبة مسجلة بتاريخ 30 رجب 1182هـ/1768م، والظاهر أن عيسى هذا كان يملك حقولا لإنتاج الملح بولجة طنجة البالية.

كما تردد اسم العدل الطيب بن الطاهر السعيدي على صفحات عدة وثائق إحداها[72] مسجلة بتاريخ 10 شعبان 1219هـ/1804م.

نسب السعيدي يعود في الغالب إلى قبيلة بني سعيد بالريف الشرقي، التي تحد بالبحر الأبيض المتوسط شمالا وبقبيلة بني ولشك غربا وبقبيلة بني وكيل جنوبا وبقبيلة بني بويفرور شرقا[73] إلا أن نسب السعيدي قد يرتبط أحيانا بقبيلة بني سعيد ثانية قرب واد لاو أو بأصول أندلسية.

71- حوالة أحباس طنجة ص 359

72- حوالة أحباس طنجة ص 54

73- Ricardo Fernandez E l desastre de de Anoual pp8-9 editorial Planeta 1985.

ـ سكيرج:

ورد في وثيقة[74] بتاريخ 1 ربيع الثاني 1207هـ/1792م أن شخصا يسمى سكيرج، دون تحديد اسمه الشخصي ولا الثنائي، على الوثيقة المذكورة، "الممنون عليه بالاسلام"، باع أربعة حوانيت لناظر أحباس طنجة السيد الطاهر اللغميش بما قيمته 110 دورو[75].

تزخر كتب التاريخ بذكر تراجم علماء وفقهاء وشعراء من بيت سكيرج بطنجة، فيذكر الضعيف أن شاعر السلطان المولى عبد الله كان هو " الفقيه الاديب الماهر الشاعر ابو عبد الله سكيرج"[76] وألف محمد بن الطيب سكيرج الذي توفي سنة 1195هـ/1780م" معينة الطلاب على التوصل للاسطرلاب "...

ـ السوسي :

تردد كثيرا بيت السوسي في طنجة على امتداد القرن الثامن عشر، نذكر ثلاث وثائق من بين ما وردت في الحوالة الحبسية تشير إلى هذه البيوتات ذات الأصول السوسية:

74- حوالة أحباس طنجة ص26

75- سنة 1791 كان دورو واحد من العملة الاسبانية يساوي واحد مثقال مغربي.

76- الضعيف مصدر سابق ص 164

ــ الوثيقة الأولى[77] مسجلة بتاريخ 4 رجب 1156هــ/1743م، تشير إلى أن الحاج عبدالله بن أحمد السوسي الهلالي، مكلف من طرف سي محمد بن علي بن عبد القادر الليل السوسي وكذا سي المهدي بن علي الحسني وكيل خديجة بنت الحسن السوسي أرملة عبدالله السوسي، ببيع حانوت وجلسته وبضائعه بسوق البقالين بقيمة 11 مثقال.

ــ الوثيقة الثانية[78] تشهد أن الناظر احمد بن محمد السوسي يشتري لفائدة القائد عبد الصادق، ثلاث حوانت من السيدة عربية بنت عبد القادربن محمد التمسماني زوجة عبد الفضيل بن الباشا أحمد، بقيمة 20 أوقية، الوثيقة مسجلة بتاريخ 11 ربيع النبوي 1171هــ/1757م. وتحمل وثائق أخرى، اسم نفس الناظر، وتواريخ لاحقة تمتد إلى عام 1184هــ./1770م، بمعنى أنه مارس مهمة نظارة الأحباس خلال الخمسينات والستينات ومطلع السبعينات من القرن الثامن عشر.

ــ الوثيقة الثالثة[79] ورد فيها ذكر اسم أحمد السوسي مسجلة بتاريخ 1 جمادى الأولى 1205هــ/1790م.

77- حوالة أحباس طنجة ص314

78- حوالة أحباس طنجة ص329

79- حوالة أحباس طنجة ص20

ويذكر أهل سوس بطنجة أن ضريح سيدي بوعبيد هو للشريف بوعبيد السملالي السوسي أحد أحفاد سيدي أحماد أوموسى.

ـ الشاط:

ورد ذكر بيت الشاط على وثائق الحوالة الحبسية عدة مرات، مقرونا بألقاب أخرى؛الشاط الأندلسي، الشاط التطواني، الشاط الأنجري. المرة الأولى ذكرعلى وثيقة(80) في شخص الحاج العربي بن احمد الشاط تسجل شهادة عدول بملكيته لأربعة حوانيت، والوثيقة مؤرخة بشهر شعبان 1173هـ/1759م.

الوثيقة الثانية(81) تذكر أن عبد العزيز بن المقدم ابراهيم الشاط الأندلوسي التطواني يبيع ورشة ودكانين باسمه ونيابة عن بناته وأخيه، بما قيمته 70 أوقية مسجلة بتاريخ 24 ربيع الأول 1174هـ/1760م.

وتذكر وثيقة أخرى مسجلة بتاريخ 23 جمادى الثانية 1162هـ/1748م أن فاطمة بنت الطاهر الشاط الأنجري دافعت عن حقوق أبنائها، في مطحنة كان يكتريها لمدة طويلة خلال حياته، بعد وفاة زوجها.

80- حوالة أحباس طنجة ص 374

81- حوالة أحباس طنجة ص 374

ـ الشليح:

ورد ذكر هذا البيت في شخص أمينة (منانة) بنت الحاج علي الشليح التطواني تتوصل بمؤخر صداقها وهو عبارة عن 15 مثقال قيمة جنان بالرمل وحانوت من السيد أحمد بن أحمد العبدالرزاقي، هذه الوثيقة[82] مسجلة بتاريخ 15 ربيع الثاني 1156هـ/1743م.

ـ الطنجي:

ورد ذكر بيت الطنجي على وثيقة حبسية[83] في شخص الفقيه سي محمد بن يحيى الطنجي الذي عين إماما ومدرسا بالزاوية التهامية مقابل 40 أوقية في الشهر بأمر من السلطان مولاي سليمان بتاريخ فاتح ربيع الثاني 1213هـ/1798م.

والظاهر أن لقب الطنجي خلال القرن الثامن عشر، قد ارتبط ببعض الأسر التي سبق لها أن كانت تعيش بطنجة قبل سقوطها في يد الاحتلال كالشيخ عبد الله بن محمد الهبطي الطنجي الذي ذكر صاحب مرآة المحاسن أن سلفه كان بطنجة.

82- حوالة أحباس طنجة ص 297

83- حوالة أحباس طنجة ص 34

فالإنسان الطنجي عندما خرج مكرها من مدينته سنة 876هـ/ 1471م، لم يجد أثمن ما يحمله معه من لقب الارتباط بطنجة، لتأكيد ارتباطه بهذه الأرض رغم الوقائع والأحداث الجسام.

ـ العروسي:

نسبة إلى بني عروس قبيلة تقع بناحية جبالة تحيط بها قبائل جبل حبيب، بني يدر، بني حزمر، بني ليت الأخماس، بني يسف، سماتة، بني كرفط، بداوة، امزورة[84].

تكرر ذكر بيت العروسي على صفحات وثائق الحوالة الحبسية فالوثيقة الأولى[85] مسجلة بتاريخ 23 جمادى الثانية 1162هـ/1748م تذكر أن المجاهد عبد الله بن حسن العروسي كان يكتري مطحنة الأحباس منذ أربعين سنة، وبعد وفاته وقع نزاع عرض على القاضي بين ناظر الأحباس وورثة الهالك وهم أبناؤه أحمد وأم المعاني وزهرة وأرملته فاطمة بنت الطاهر الشاط الأنجري، انتهى بالصلح بين الطرفين.

84- مادة بني عروس معلمة المغرب ج 5، ص 1542 و 1543

85- حوالة أحباس طنجة ص303

الوثيقة الثانية[86] مسجلة بتاريخ 30صفر 1162 هـ/1748م تذكر أن المقدم عبد الله بن الحسن الحافظ العروسي عند وفاته ترك الورثة الآتية أسماؤهم: أرملته فاطمة وابناؤه المقدم أحمد والطاهرة زوجة المقدم عبد السلام بن امحمد أخديم وأمينة زوجة عبد الله الحفيظ... الوثيقة موقعة من طرف عدلين وقاضي بالجبل الحبيب السيد محمد بن محمد قنديس.

ـ العمارتي:

نسبة إلى قبيلة بني عمارت، التي تحد بقبيلة بني ورياغل شمالا ومرنيسة جنوبا و كزناية شرقا وصنهاجة السراير غربا[87].

ورد ذكر بيت العمارتي في عدة وثائق بالحوالة الحبسية نقف على ثلاث نماذج تشير إلى أن أفراد هذا البيت الذي وفد على طنجة مجاهدا في سبيل الله تحولوا من مهام قتالية الى مهام متنوعة بين الحرف والفلاحة...:

ـ الوثيقة الأولى[88] تذكر محمد بوبكر العمارتي يمارس مهمة أمين مستفاد الجامع الكبير بتاريخ 18 ذي الحجة 1219هـ/1804م.

86- حوالة أحباس طنجة ص 324

87- Contribution a l étude de la région du rif série etude N 14 PP 42 INSTITUT ROYAL DE LA CULTURE AMAZIGHE.

88- حوالة أحباس طنجة ص 167.

ـ الوثيقة الثانية[89] تذكر محمد بن بوسلهام العمارتي يشغل ورشة دراززة مسجلة بتاريخ 15 رمضان 1203هـ/1788م.

ـ الوثيقة الثالثة[90] مسجلة بتاريخ 5 ربيع الأول 1152هـ/1737م تذكر أن أحمد بن يعقوب العمارتي باع حانوت بسوق البقالين بقيمة17 مثقال، كما أشارت وثيقة أخرى إلى أن عبد السلام بن عمار العمارتي ضمن لائحة شهود أحباس اراضي أحواز طنجة.

ـ **الفلوس**:

ورد ذكر اسم علي بن محمد الفلوس في عدة وثائق إحداها[91] مؤرخة ب20 جمادى الأولى 1162هـ/1748م ككاتب عدل.

وينتسب بيت أولاد الفلوس لقبيلة سوماتة*[92] وهو بيت علم أنجب عدول ومدرسين وأئمة وخطباء وقضاة.

89- حوالة أحباس طنجة ص 380.

90- حوالة أحباس طنجة ص 313.

91- حوالة أحباس طنجة ص 339

92 - Tanger et sa zone pp200

*- تقع قبيلة سوماتة بإقليم العرائش تحد شمالا بجبل الحبيب وشرقا بقبيلة بني عروس وجنوبا بقبيلة بني يسف وقبيلة بني زكار وغربا بقبيلة بني كرفط وقبيلة أهل سريف.

- **فنيش:**

ورد ذكر بيت فنيش بطنجة على صفحات[93] وثائف الحوالة الحبسية بطنجة في شخص الحاج الطاهر فنيش[94] في إحداها يحبس حانوت لفائدة ترميم وإصلاح قناة الماء بالسوق الخارجي، بتاريخ 6 جمادى الأولى 1205هـ/1790م، ثم يعود مرة أخرى بعد تسع سنوات ويجدد حبسه لفائدة العناية بنر المدرسة الموجودة قبالة المسجد الكبير بتارخ 30 جمادى الأولى 1214هـ/1799م.

- **قنجاع :**

بيت قنجاع نموذج لأحد البيوت الذي لم يرد ذكره في وثائق الحوالة الحبسية رغم أنه من الأسماء العائلية المنتشرة على نطاق واسع بطنجة، ويذكر الضعيف[95] أن محمد قنجاع هو كبير قبيلة الأنجرة في عهد مولاي

93- حوالة أحباس طنجة ص 356

94- قادت عائلة فنيش الجهاد البحري بسلا، عبد الحق بن عبد العزيز فنيش كان حاكما لسلا سنة 1755/1169 تحت نفوذ المولى عبد الله بن اسماعيل، صادر المولى محمد بن عبد الله كل ممتلكات أسرة فنيش بسلا سنة1766/1180 وسجنهم بسجني العرائش والصويرة، ثم ما لبث أن أعاد توظيفهم في قيادة المدفعية بالعرائش وطنجة والرباط والصويرة، وشاركو في حصار سبتة 1790/1205 مع السلطان المولى اليزيد.

95- الضعيف مصدر سابق ص 228.

اليزيد وهو مجاهد رابط على حصار مدينة سبتة المحتلة عام 1206هـ/1791م.

ـ الكيال:

ورد ذكر بيت الكيال في وثيقة[96] حبسية بطنجة مسجلة بتاريخ 1158هـ/1745م ضمن لائحة مكتري الأراضي الحراثية الداخلة في ملك الأحباس إلى جانب، السي محمد أقلعي، يحيى التوزيني، محمد عمران.

ـ اللغميش:

تكرر ذكر هذا البيت عدة مرات على صفحات الحوالة الحبسية في شخص الناظر الطاهر بن محمد اللغميش وإبنيه فضول (91) والسي عبد الحفيظ[97] واللذين كانا على ما يبدو يساعدان والدهما في مهمة النظارة سنة 1791/1206. والظاهر أن الطاهر بن محمد اللغميش تحمل مسؤولية خزانة المسجد الكبير منذ غرة ربيع الأول عام 1190هـ/1776م.

96- حوالة أحباس طنجة ص 368.

97- حوالة أحباس طنجة ص 28.

وورد مرة أخر مع المعلم عبد الرحمان اللغميش اللنجري في وثيقة[98] مسجلة بتاريخ 15 محرم 1165هـ/1750م ببيع نصف حانوت بسوق الخرازين باربعين أوقية.

ـ المساري:

نسبة إلى قبيلة بني مسارة[99] بأحواز وزان، تحد هذه القبيلة شمالا بقبيلتي اغزاوة وبني احمد وجنوبا بقبائل سفيان وبني مالك،وشرقا بقبيلتي بني مزكلدة وبني زروال، وغربا بقبيلتي رهونة ومصمودة.

أحد أفراد هذا البيت وهو سي أبو القاسم بن سليمان المساري شغل منصب كاتب القايد محمد بن الباشا أحمد بن علي مثبت على وثيقة[100] مسجلة بتاريخ 15محرم1740/1153.

وفي وثيقة[101] ثانية ورد ذكر أن علي المساري يوصي بتحبيس جنان بالجبل الكبير مؤرخة ب11 جمادى الثانية 1038*(1138هـ)

98- حوالة أحباس طنجة ص 307.

99- انظر كتاب الاشارة والبشارة في تاريخ وأعلام بني مسارة عبد السلام البكاري دار النشر المغربية 1984 الدار البيضاء.

100- حوالة أحباس طنجة ص 337

101- حوالة أحباس طنجة ص 319

*- الظاهر أن خطأ وقع في ضبط هذا التاريخ فسنة 1038هـ كانت خلالها طنجة لازالت تحت الاحتلال البرتغالي والظاهر أن السنة المراد ذكرها هي 1138هـ/ 1725م.

ـ المصوري:

نسبة إلى بني مصور بأحواز طنجة، ورد ذكر بيت المصوري في عدة وثائق بالحوالة الحبسية نقف على وثيقتين نموذجيتين:

الأولى[102] تذكر أن فاطمة بنت عبدالله بن يحيى المصوري هي أرملة القاضي سي أحمد بن محمد الشريف مسجلة بتاريخ 1 رجب 1152هـ/1739م.

والثانية[103] تثبت أن المعلم محمد صالح المصوري يحبس حانوته القريب من السقاية مسجلة بتاريخ 3 جمادى الأولى1179هـ/1765م.

ـ المفرج:

ورد ذكر بيت المفرج على صفحات الحوالة الحبيسة[104] عدة مرات مع "قاضي طنجة العلامة النحرير الولي الصالح الأكبر سيدي عبد الرحمان المفرج" خلال العقد الأخير من القرن الثامن عشر، وهي نفس الفترة التي هاجر خلالها أفراد هذا البيت إلى طنجة قادمين إليها من شفشاون في حين تعود أصول هذا البيت إلى قبيلة بني وارain قرب تازة وهو بيت علم وعدل تولى

102- حوالة أحباس طنجة ص 315

103- حوالة أحباس طنجة ص 378

104- حوالة أحباس طنجة ص 239

أفراده عدة مهام تراوحت بين تولي مسؤولية خطة القضاء وكتاب العدل والنظارة وإمامة المساجد ومسؤولية خطبة الجامع الكبير[105].

ـ الهسكوري:

وطن الحسن الوزان[106] اقليم هسكورة ضمن مملكة مراكش وحده بإقليم دكالة ومراكش غربا وجزولة جنوبا وتادلا شرقا وإقليم الحوز من مملكة فاس شمالا وبذلك فهو اقليم ممتد من السفح الغربي الى السفح الشرقي لجبال الأطلس الكبير، وعند ابن خلدون "هسكورة وهم لهذا العهد في عداد المصامدة وينسبون إلى دعوة الموحدين وهم أمم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن إلى تادلا من جانب الشرق إلى درعة من جانب القبلة"[107]

وهذا البيت الهسكوري يرد ذكره في وثيقة[108] بالحوالة الحبسية بطنجة في شخص السي الطاهر بن عيسي الهسكوري المصوري هذا الأخير يشهد بصدق حبس حبسه شخص آخر بتاريخ 15 شعبان 1145هـ/1732م.

---

105 -Tanger et sa zone pp200

106- وصف افريقيا ص 94

107- تاريخ ابن خلدون ضبط المتن والحواشي خليل شحاتة ومراجعة سهيل زكار ج 6 ص271. طبعة دار الفكر 2000 بيروت لبنان.

108- حوالة أحباس طنجة ص 320.

والظاهر أن الطاهر بنعيسى المذكور في الوثيقة كان يحتل مكانة اجتماعية خاصة ومصداقية تتجلى في لقبه من طرف العدول بالسي (من باب الاحترام لحملة القرآن والعلوم الدينية) وكذا اعتماد شهادته كإثبات تحبيس أملاك شخص آخر، ومن تم فلا نستبعد أن يكون قد نزل بعض أسلافه ببني مصور، كفقهاء أو مجاهدين، اندمجوا مع أفرادها عن طريق التزاوج، وبذلك حملوا اسما مزدوجا؛ هسكوري ـ مصوري.

ـ الهيشو:

ورد ذكر بيت الهيشو على وثيقة[109] حبسية في شخص محمد الهيشو الشفشاوني والد "المرأة الخيرة رقية" مسجلة بتاريخ 24 شوال 1169هـ/1755م.

ـ الوادراسي:

نسبة إلى وادراس قبيلة ذات أصول أمازيغية[110] بأحواز طنجة-تطوان، ورد ذكر هذا البيت عدة مرات بوثائق الحوالة الحبسية منها:

109- حوالة أحباس طنجة ص 325

110- اسم وادراس كلمة أمازيغية الأصل نجد لها اسما قريبا لقبيلة بالأطلس المتوسط آيت إدراسن ونستبعد أصلها العربي انطلاقا من تركيبتها التي اعتمدها بعض الكارطوغرافيين الاستعماريين بترجمتها بعبارة وادي راس أو رأس الواد.

وثيقة[111] مسجلة بتاريخ 30 جمادى الثانية 1171هـ/1757م تذكر أن الحاج محمد زيان الودراسي باع للناظر احمد بن محمد السوسي جلسة حانوت بما قيمته 10 أوقيات.

ـ وثيقة ثانية[112] مسجلة بتاريخ 22 ذي القعدة 1748/1161 تشير إلى أن أمينة بنت عبد الله حنتوت الودراسي تزوجت علي بن الطاهر الوزاني الصرصري على صداق قيمته 60 مثقال تسلمت 30 مثقالا مباشرة و16 مثقال قيمة الدار التي سبق أن اشتراها من زوجته السابقة و14 مثقال مؤخر صداق يدفع بعد حد أقصى لا يتجاوز 14 سنة. ثم تذكر أمينة بنت عبد الله حنتوت الودراسي في وصية ملحقة بتاريخ 15 جمادى الأولى 1178هـ/1764م، أن 60 أوقية قيمة أساورها وأقراطها الفضية تخصص لمصاريف دفنها وتلاوة القرآن على قبرها، أما دارها فتبقى لأختها وبعد وفاة هذه الأخيرة فهي حبس لفائدة الجامع الكبير.

111- حوالة أحباس طنجة ص304

112- حوالة أحباس طنجة ص371

– وثيقة ثالثة[113] مسجلة بتاريخ فاتح جمادى الأولى 1166هـ /1752م ورد فيها ذكر الأرملة رحمة بنت قاسم سلمون الودراسي، تحبس دارا ورثتها عن زوجها الحاج عمر بن الشركي.

– **الورياغلي**:

نسبة إلى قبيلة بني ورياغل[114] التي تحد شرقا وادي النكور الذي يفصلها عن قبيلة تمسمان وقبيلة بني توزين، وشمالا البحر الأبيض المتوسط، وغربا قبيلة إبقوين وقبيلة بني يطفت، وجنوبا صنهاجة السراير وقبيلة بني عمارت وقبيلة جزناية.

ورد ذكر بيت الورياغلي في عدة وثائق بالحوالة الحبسية مرفوقا بلقب إضافي؛ الورياغلي الخطابي، أمقيشد الورياغلي، ونقف عند ثلاث نماذج تشير إلى أن أفراد هذا البيت كانوا يتمتعون بمنزلة خاصة بطنجة، ذكر ميشو بلير[115] أن أولاد أمقيشد تقلدوا مناصب مخزنية بطنجة والأنجرة وأصيلة، وورد ذكر هذا البيت عدة مرات في وثائق حبسية منها وثيقة[116]

113- حوالة أحباس طنجة ص326

114 -Contribution a l étude de la région du rif pp42

115 - Tanger et sa zone pp197

116- حوالة أحباس طنجة ص 313.

تذكر أن مسعود الورياغلي الذي باع لناظر الأحباس أرض بداره بحومة بني ايدر، مسجلة بتاريخ 20 صفر1153هـ /1740م.

ووثيقة [117] أخرى تشير إلى أن محمد بن محمد الورياغلي الخطابي المعروف ب أمقيشد يملك زينة دار بحومة أخديم، مقابل عمله في إصلاحها مسجلة بتاريخ 22 رجب 1143هـ/1756م .

ثم تلحق الوثيقة[118] السابقة بأخرى تؤكد أن الفقيه محمد بن أحمد أمقيشد الورياغلي الخطابي يقوم بعملية معاوضة مع الناظر الأحباس مسجلة بتاريخ فاتح محرم 1173هـ/1759م.

ـ الوزاني:

ورد ذكر بيت الشرفاء الوزانيين على صفحات وثائق الحوالة الحبسية، فقد أشارت وثيقة في الصفحة 22 على حوالة أحباس طنجة، مسجلة بتاريخ 1 ربيع الثاني 1205هـ/1790م، أن دارا بحومة دار البارود كانت تعرف بدار الشرفاء الوزانيين أولاد عبد الجليل.

117- حوالة أحباس طنجة ص 377

118- حوالة أحباس طنجة ص 378

58 حوالة أحباس طنجة ص402

كما أشارت وثيقة ثانية[119] إلى زواج علي بن الطاهر الوزاني الصرصري بطنجة من السيدتين: رحمة بنت محمد أوعلي التمسماني وأمينة بنت عبد الله حنتوت الودراسي خلال الربع الثاني من القرن الثامن عشر.

اليطفتي:

نسبة إلى قبيلة بني يطفت التي تحد شرقا بقبيلة بقيوة، وشمالا بالبحر الأبيض المتوسط، وغربا بقبيلة بني بوفراح، وجنوبا بقبيلة بني ورياغل. وتشتهر قبيلة بني يطفت بقصباتها التاريخية كقصبة سنادة: التي شيدها السعديون لمواجهة التدخل الإيبيري في الشمال المغربي.

ورد ذكر هذا البيت في شخص سي محمد بن محمد بن عبد الله اليطفتي على وثيقة[120] مقاسمة عدلية مع أخته فاطمة بنت محمد بن عبد الله اليطفتي مسجلة بتاريخ 2 ربيع الأول 1166هـ/1752م.

119- حوالة أحباس طنجة ص 371

120- حوالة أحباس طنجة ص 310

بيوتات يهودية ورد ذكرها بحوالة أحباس طنجة خلال القرن 18:

بعد سقوط الحكم الإسلامي بالأندلس تم طرد اليهود، وكان طبيعي أن المهاجرين منهم نحو شمال إفريقيا، لن يلجؤوا الى طنجة المحتلة من قبل البرتغاليين، فتفرقوا بين تطوان ووهران وفاس ومدن أخرى، والراجح أن بعضهم رجع الى المدينة بعد تحريرها من طرف المجاهدين، وتصمت المصادر التاريخية عن الحديث عن مصير 51 يهودي ذكر ميشو بيلير أنهم كانوا يعيشون بطنجة سنة 1676 أي قبل تحريرها.

عدد كبير من الأسر اليهودية التي كانت تعيش بطنجة كانت فقيرة، خاصة من اليهود المحليين، مارس أفرادها مختلف الحرف اليدوية ومهن أخرى منحطة أو مرفوضة اجتماعيا من طرف المسلمين، عكس المطرودين من الأندلس والوافدين من دول أوربية أخرى فقد اهتموا بعالم المال والأعمال.

ومن العائلات اليهودية التي عاشت بطنجة خلال القرن 18 وورد ذكرها في الحوالة: شاشون، كريسو، بينتو، طوليدانو، طابيرو، الزنكوط، براكيمو، بن صمويل، بن شمول، ناهون...

تاريخ تسجيل الوثيقة	إسم اليهودي القاطن بطنجة و طبيعة المعاملات المسجلة في وثائق الحوالة	الصفحة على الحوالة الحبسية
30محرم1736/1149	براكيمو بن يعقوب يشتري زينة دار.	الصفحة 345
20 رمضان 1744/1157	بيع دار قديمة قرب باب الفحص جوار دار اليهودي كريسو	الصفحة 28
15ربيع الأول 1758/1172	مات بن الوليد التوبيب و ترك دار بين زاوية أحنصال ورحبة الزرع	الصفحة 377
15 ربيع الأول 1758/1172	زهرة زوجة بن الوليد التوبيب تكتشف أن الهالك باع الدار قبل سنة و تجد صعوبة في تحمل مصاريف الدفن	الصفحة 377
15 ربيع الأول 1758/1172	يعقوب بن بن الوليد التوبيب	الصفحة 377
15 ربيع الأول 1758/1172	داوود بن بن الوليد التوبيب	الصفحة 377
2 ذو القعدة 1180 /1766	حاكو بينتو Pintoيشتري غرفة ب 12 مثقال (120 أوقية)	الصفحة 28
18ربيع الأول 1189 /1775	حاكو بينتو يقوم بمعاوضة دكان مع مسلم	الصفحة 352
1 ربيع الثاني 1792/1207	أحد اليهود يبيع للناظر حوانته الأربعة و يعلن اعتناقه لدين الاسلام	الصفحة 26
25 ذو القعدة 1791/1206	يعقوب بن حاكو بينتو يبيع نصيبه في اصطبل قرب باب الفحص جوار دار بن شامي و دار الفراجي بلغت قيمته 12 مثقال (120اوقية)	الصفحة 28
25 ذو القعدة 1791/1206	سيمحا بنت يعقوب بن شالوم زوجة حاكو بينتو تبيع نصيبها في اصطبل قرب باب الفحص جوار دار بن شامي و دار الفراجي بلغت قيمته 12 مثقال (120اوقية)	الصفحة 28
25 ذو القعدة	حامو بنت حاكو بينتو تبيع نصيبها في اصطبل	الصفحة 28

	قرب باب الفحص جوار دار بن شامي و دار الفراجي بلغت قيمته 12 مثقال (120اوقية)	1791/1206
الصفحة 28	رحمة بنت بابا[121] تبيع نصيبها في اصطبل قرب باب الفحص جوار دار بن شامي و دار الفراجي بلغت قيمته 12 مثقال (120اوقية)	25 ذي القعدة 1791/1206
الصفحة 30	سيمحا بنت يعقوب بن شالوم زوجة حاكو بينتو تبيع نصيبها دارين قرب باب الفحص جوار دار بن شامي ب158مثقال	4 ذي القعدة1792/1207
الصفحة 30	يعقوب بن حاكو بينتو يبيع نصيبه دارين قرب باب الفحص جوار دار بن شامي ب158مثقال	4 ذي القعدة1792/1207
الصفحة 30	حامو بنت حاكو بينتو تبيع نصيبها دارين قرب باب الفحص جوار دار بن شامي ب158مثقال	4 ذي القعدة1792/1207
الصفحة 30	رحمة بنت بابا دارين قرب باب الفحص جوار دار بن شامي ب158مثقال	4 ذي القعدة1792/1207
الصفحة 36	يوسف طوليدانو[122] يشتري ب مائة أوقية من ناظر زاوية سيدي بوستة حق بناء دعامات فوق سور للأحباس.	2ذي القعدة 1803/1218
الصفحة 37	هارون بن داوود طابيرو معاوضة مع ناظر الزاوية التهامية ورشتي درازة مع دفع الطرف الأول13 مثقال ونصف للطرف الثاني.	2 جمادى 1804/1219
الصفحة 91	بكيشة كانت تقطن قرب السقاية و دار بنحمو.	فاتح شوال 1812/1227
الصفحة 119	اليهودي ساسون بن حاييم الزنكوط[123] معاوضة غرفة بجنان الأحباس بالمصلى	9رجب 1858/1275
الصفحة 120	اليهودي ساسون بن حاييم الزنكوط يشتري غرفة قرب سور الزايدي بما قيمته 50 مثقال.	10رجب 1858/1275

121- لم تشر الوثيقة الأصلية الى طبيعة علاقة رحمة بنت بابا بحاكو بينتو إلا أنها تشير الى نصيبها في قيمة بيع الاصطبل.

122- يذكر ميشو بيلير في كتابه طنجة وضواحيها ص 209: أن عائلة طوليدانو تعتبر من أقدم العائلات اليهودية بالمدينة وهي من أصول أندلسية هاجرت كما يشير الى ذلك اسمها من مدينة طوليدو حيث عاش الربي دانييل طوليدانو. استقرت أولا بمكناس ثم انتقلت الى طنجة لتشتغل بالتجارة.

123- اشتغل أفراد هذه الأسرة بالتجارة وارتبطت بعائلة حاييم بنشيمول.

من العائلات اليهودية الكبرى التي وفدت على طنجة سنة 1715 من هولاندا عائلة بندلاك لم يرد ذكرها في الحوالة.

وعموما فإن يهود طنجة خلال القرن الثامن عشر، عاشوا بالمدينة حياة طبيعية لا تختلف كثيرا عن حياة المسلمين، فكانت منازلهما متجاورة ومتداخلة فيما بينها، وتمت معاملات عقارية مختلفة بينهما، بل أن يهودا استفادوا من بعض الخدمات الحبسية؛ كالسماح لليهودي يوسف طوليداتو ببناء دعامات لمنزله فوق سور للأحباس[124] ومعاوضة هارون بن داوود طابيرو ورشة درازة مع ناظر الزاوية التهامية، فكان التسامح الديني الذي عرف به الإسلام عموما والمغاربة المسلمون خاصة سببا في اعتناق عدد من اليهود المغاربة والأندلسيين ديانة الإسلام ونصادف على وثيقة حبسية بالصفحة 26 حالة جلية في هذا الباب مسجلة بتاريخ 1 ربيع الثاني 1207هـ/1792م.

بيوتات منقرظة:

أكيد أن عددا من بيوت القرن الثامن عشر لم يعد لها ذكر بمدينة طنجة بعد هذا القرن لأسباب قد تكون متباينة إلا أننا سنقف عند حالتين أثارت

124- ناظر زاوية سيدي بوستة سي محمد بن عمر الكرايشي باع لليهودي يوسف طوليداتو حق بناء دعائم على سور الاحباس بـ100 اوقية في 2 ذي القعدة 1218/1803 ص 36 من نص الحوالة.

إحداهما نقاشا قويا على صفحات وثائق الحوالة الحبسية لطنجة وهما الحالتين التاليتين المتختلفتين من حيث سبب الإنقراض:

ـ حالة بيت التازي (نموذج إحدى أسر البيت التازي من خلال وثيقة):

تذكر وثيقة[125] حبسية أن محمد التازي توفي قبل عشرين سنة من تاريخ تسجيل هذه الوثيقة بتاريخ 30 ربيع الأول 1205هـ/1790م ولم يترك وريثا سوى أبو المواريث[126] وبذلك لم يرد ذكر لهذا البيت بعد التاريخ المذكور في وثائق الحوالة خلال القرن الثامن عشر.

حالة بيت آيت بوكزمة:

من قضايا البيوتات الطنجية، التي أثارت نقاشا قويا داخل الأوساط الشرعية والقانونية والحبسية والمخزنية، على مر حكم ثلاثة سلاطين أواخر القرن الثامن عشر؛ وهم المولى محمد بن عبد الله والمولى اليزيد والمولى مسلمة، بدأت فصولها عندما توصل القايد عبد المالك بن محمد بن عبد

125- حوالة أحباس طنجة ص 252.

126- أبو المواريث أو أمين بيت المال موظف مكلف باستيفاء واستخلاص إرث من لا إرث له لفائدة بين مال الدولة. (أنظر الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن 1873 ـ1894 نعيمة هراج التوزاني ص 365 فضالة 1979 .

المالك، بأمر سلطاني[127] يقضي ببيع أملاك بوكزمة: "حبوب، مواشي ودياره التي بثغر طنجة وجناناته وعراسيه وأرويته وحواتنه وأرضه وجميع ما يملك" يضيف السلطان "لأنني أردت ترحيله من طنجة ولا يسكن بها أبدا بحول الله".[128] بدعوى أن محمد وامحمد أبناء علي بوكزمة[129] كانا فقيرين ولا يملكون شيئا الى عهد قريب، بشهادة الشهود[130] من أبناء جلدتهم وكانا يشتغلان بالفساد في الأرض بثغر طنجة مع الرايس الحاج سالم؛ يخرجون آلة البحر والجهادية من مخازنها كالمدافع... وغير ذلك ويبيعونه للنصارى دمرهم الله، ومن ثمن ذلك اكتسبوا الأموال".

127- رسالة سلطانية مؤرخة 28 ذو القعدة الحرام 1203 (1788) ورد مقتطف من مضمونها في حوالة أحباس طنجة ص 21.

128- نفس الرسالة السابقة نفس الصفحة.

129- تؤكد الوثيقة السابقة وشهادة الشهود اللاحقة أن أولاد بوكزمة فقدان يتصرفا في جميع بني توزين الكائنين بثغر طنجة.

130- بعض من أدلى بشهادته (ثمانية عشر شاهد) في حق أولاد بوكزمة بتاريخ 6 ذي الحجة الحرام 1788/1203: الطالب أحمد بن محمد السوسي السيد محمد بن محمد أغربي، الطالب علي بن موسى بلكبير التوزيني، الحاج محمد بن حم التوزيني،السيد عبد الواحد أحرضان، الحاج محمد صالح، السيد عبد الواحد أقصاص القايد عبد السلام الريفي ... انظر حوالة أحباس طنجة ص 21.

وفي رسالة مؤرخة بفاتح ربيع الثاني 1205(1790) يذكر القائد المذكور أنه تولى بيع كل رباع آيت بوكمزة الموجودة بثغر طنجة لناظر الأحباس الطاهر اللغميش [131] بما قيمته 500 مثقال.

تذكر إحدى الوثائق الواردة بالحوالة الحبسية المؤرخة ب 27 صفر 1208(1793) "أن قدور بوكمزة الريفي كان حاكما على قبيلة الأخماس وأفرط في استعمال السلطة، وعذب الناس وسجنهم ليأخذ أموالهم بغير موجب شرع، وذلك بواسطة خليفته محمد بن عبد المالك الريفي"[132] وتشير وثيقة ثانية قدمها قدور بوكمزة يشهد فيها عشرة عدول بأنه لم يشتغل أبدا كعامل مخزني، ولم ينزل أبدا بقبيلة الأخماس، وعندما طرحت قضية مصادرة أملاك أولاد بوكزمة على العلماء اعتبر هؤلاء أن قرار البيع والمصادرة لاغيا والأدلة غير كافية والأملاك يجب أن ترجع الى أصحابها، وكان رأي العلماء أرضية فقهية بنى عليها القاضي حكمه الصادر بتاريخ 30 رجب 1208 (1793).

131- تتضمن الوثيقة إشارة أن " الناظر المذكور لم يشتري ذلك عن طيب نفسه" انظرنص الرسالة في حوالة أحباس طنجة ص 22 إلا أن وثيقة شهادة ثانية مؤرخة ب 19 جمادى الثانية 1208(1793)تؤكد أن الناظر اشترى أملاك بوكمزة بحرية دون إكراه أو تهديد؟.

132- حوالة أحباس طنجة ص 18.

وفي أيام السلطان المولى مسلمة بن المولى محمد بن عبد الله تمكن أولاد بوكزمة من كسب ود السلطان الجديد فبعث هذا الأخير برسالة سلطانية يصف فيها أولاد بوكزمة ب "خدامنا"[133] ويدعو الى ضرورة رد كل أملاك آيت بوكزمة بما فيها التي دخلت في ملكية الأحباس "كدورهم بداخل مدينة طنجة حرسها الله... وأجناتهم الذين في حيازة المدينة... وبلداتهم متع الحرث..."[134]

والظاهر أن قضية بيت آيت بوكزمة قد تأثرت بالتحولات السياسية والصراعات حول العرش التي كان يعرفها مغرب أواخر القرن الثامن عشر، وكان لقرار تنفيذ الأمر السلطاني بمصادرة الأملاك وقع كبير على أفراد هذا البيت الذي لم يعد له ذكر بثغر طنجة فيما بعد، والظاهر أن أفراده قد قفلوا راجعين إلى قبيلتهم الأصلية (بني توزين) بالريف الشرقي.

133- نص رسالة السلطان المولى مسلمة بحوالة أحباس طنجة ص354.

134- نفس الوثيقة السابقة.

الخاتمة:

يمكن للوثيقة الحبسية أن تكون مصدر إخبار دقيق ومباشر وغير قابل للتأويل، وهو ما يعطيها قوة ومصداقية لدى المؤرخ، فهي تعكس حقيقة وضع اجتماعي وتبين مدى التفاعل القائم بين الدين والمجتمع بمنأى عن السياسي، تسمح للمؤرخ بتتبع ظواهر مختلفة في المجتمع، وبالتالي فقد اعتمدناها (حوالة أحباس طنجة) كمصدر أساس ساهم في بلورة تصور التطور الذي عرفه المجتمع المغربي – الطنجي نموذجا – في ذهننا خلال القرن الثامن عشر.

هذا التطور الذي تم في انسجام بين الأحداث الوطنية والمحلية، في سياق تاريخي تكاملت في تفسيره الوثيقة الحبسية مع باقي المصادر التاريخية الأخرى[1]، يبرز بشكل أكثر وضوحا مدى وحدة الشعب المغربي، وتفاعل سلطة القيادة المحلية، سواء في طنجة أو غيرها من الأقاليم، مع التحولات العامة التي تشهدها الساحة السياسية المركزية بكل متغيراتها الصراعاتها وسلمها.

1- إن التكامل بين المصادر لبناء تصور حول الأحداث التاريخية هو الذي دفعنا لاعتماد مصادر متنوعة هي في الحقيقة ليست سوى مكملة للمصدر الرئيس ألا وهو وثائق الحوالة الحبسية.

والقيمة المضافة التي تتضمنها الوثيقة الحبسية بطنجة خلال القرن الثامن عشر، هو كونها تعكس التحولات العميقة التي مست مختلف المجالات العمرانية والثقافية والإجتماعية، في علاقتها بالتغيرات والاضطرابات السياسية إضافة إلى ضغط الكوارث الطبيعية والصحية، كل ذلك جعل المجتمع الطنجي، بمختلف مكوناته، يستثمر كل طاقاته في إعادة إعمار المدينة وتنميتها وتجاوز كل المعيقات، والترفع عن كل الخلافات الضيقة التي قد تمس حرية الوطن وسلامة السلطة. وبذلك برهن الإنسان الطنجي على أنه يتوفر على روح وطنية عالية مكنته من تجاوز مرحلة حرجة من تاريخ المغرب بأقل الأضرار الممكنة، في زمن كانت فيه وحدة البلاد وسلطتها مهددة بسبب تهور الجيش في الداخل وتزايد الأطماع في الخارج.

هذه الروح الوطنية وهذا المشروع المجتمعي، لم يكن حكرا على الرجال فقط، بل ساهمت فيه طاقة نسوية أثبتت كفاءتها في ضبط حاجات المجتمع، وجدارتها في إدارة أملاكها، واستقلاليتها في اتخاذ قرارات وقفها لممتلكاتها، وبذلك برهنت على توفرها على روح وطنية نادرة، بحضورها الى جانب المجاهدين ومساهمتها بحلال مالها (صداقها في حالات كثيرة)، كما برهنت على غيرتها القوية عن دين الإسلام، من خلال كم ونوعية ما حبسته لفائدة

المؤسسات الدينية، كما برهنت أيضا على حبها ووفاءها لزوجها حتى بعد موته أحيانا وهي بذلك تجسد معنى الوفاء والحب والإخلاص.

هذه المرأة المجاهدة المؤمنة المخلصة؛ هي مربية رجال ونساء بيوتات مدينة طنجة، الذين استقروا بها بعد تحريرها، فسهروا جميعا على إعادة بناءها وتعميرها، فتزاوج وتناسل أفراد هذه البيوتات المتنوعة الأصول القبلية، بهدف التكاثر، متجاوزين عقلية التعصب القبلي، ومؤمنين بضرورة التعايش في ظل وحدة اجتماعية، فهذا المزيج القبلي الذي عرفته المدينة خلال الخمسين سنة الأولى بعد فتحها تحول بعد ذلك إلى نسيج اجتماعي متماسك وقوي، يصعب فيه الحديث عن الانتماء الأول، بل تحول الولاء والانتماء إلى المدينة والوطن والسلطة الحاكمة.

فموضوع بيوتات طنجة خلال القرن الثامن عشر، بين مدى مساهمة البيت المغربي، على اختلاف انتمائه القبلي في بناء الحضارة المغربية عبر التاريخ، وقدرته على خوض رهان التنمية والإعمار، في جو يطبعه التعايش والتكافل والتشبع بروح وطنية عالية، في ظل مجتمع موحد ومندمج، يفتخر فيه الإنسان المغربي بانتمائه لأرضه ووطنه.

بيبليوغرافيا

ـ القرآن الكريم طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية عام 1417هـ.

مخطوطـــات :

ـ كل وثائق حوالة أحباس طنجة المجلد الأول.

ـ بعض ظهائر التوقير التي سلمها السلاطين العلويين لبعض البيوت.

المصـــادر والمراجـــع:

ـ ابن عزوز حكيم " الموريسكيون في المغرب " شفشاون 23-21 شتنبر 2000م، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 2001.

ـ ابن عزوز حكيم " الأسر الأندلسية التي استقرت بشمال المغرب"، ضمن كتابه: أطلس مأساة الأندلس1609- 1493م شفشاون، 2002.

ـ ابن عذاري البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق محمد ابراهيم الكتاني محمد بنتاويت محمد زنيبر عبد القادر زمامة دار الغرب الاسلامي1406هـ/1985م بيروت لبنان.

ـ ابن منظور لسان العرب المحيط، أعاد بناءه يوسف خياط دار الجيل/دار لسان العرب بيروت

ـ أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني منشورات رابطة أبي المحاسن بدون تاريخ.

ـ البادسي عبد الحق بن إسماعيل "المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف" تحقيق سعيد أعراب المطبعة الملكية الرباط 1982.

ـ البزاز محمد الأمين: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر منشورات كلية الآداب الرباط سلسلة رسائل وأطروحات رقم 18 جامعة محمد الخامس 1992.

ـ بلمقدم رقية: أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل 1672 ـ 1727 جزئين مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مطبعة فضالة 1993.

ـ جان كوسني وأبو القاسم عشاش بيوتات مدينة سلا تحقيق وتعليق نجاة المريني منشورات الخزانة العلمية الصبيحية 1989 سلا المغرب

ـ جرمان عياش أصول حرب الريف ترجمة محمد الأمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق الخريطة الثانية الملحقة الشركة المغربية المتحدة 1992 الرباط.

ـ الريفي، عبد الكريم بن موسى، زهر الأكم، دراسة وتحقيق أمينة بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992

ـ السعيد بوركبة " دور الوقف في الحياة الثقافية في عهد الدولة العلوية"، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الثقافية، مطبعة فضالة- المحمدية، 1417هـ - 1996م.

ـ الضعيف محمد الرباطي، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة) تحقيق وتعليق وتقديم الأستاذ أحمد العماري دار المأثورات 1406هـ/ 1986م الرباط.

ـ عبد الله العروي مجمل تاريخ المغرب المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع.

ـ عبد الله الداودي إدارة موارد مياه المدينة الإسلامية تجربة تراثية رائدة (نموذج مكناس عند مطلع القرن18م) مخطوط جاهز، لم ينشر بعد.

ـ عبدالله بن إدريس الداودي أطلس تاريخ المغرب دار الشرق العربي 2013 بيروت لبنان (تحت الطبع).

ـ عبد الله الداودي أطلس المملكة المغربية والعالم (جغرافي) دار الشرق العربي بيروت لبنان.

ـ عبد الحق بن المجذوب الحسني "الحالة الاجتماعية بفاس في القرن الثاني عشر الهجري من خلال الحوالة الإسماعيلية"، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط، ط 1427 هـ/2006م.

- عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون ضبط المتن والحواشي خليل شحاتة ومراجعة سهيل زكار ج 6 طبعة دار الفكر 2000 بيروت لبنان.

- عبد الرحمان بن علي الطريقي كلية التربية جامعة الملك سعود توثيق الوقف المعيقات والحلول.

- عبد السلام البكاري الاشارة والبشارة في تاريخ وأعلام بني مسارة دار النشر المغربية البيضاء 1984.

- عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب طبعة القاهرة 1949.

- مارمول كاربخال إفريقيا الجزء الثاني ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر،أحمد التوفيق أحمد بنجلون منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر1989/1988.

- محمد ابن عبد الملك المراكشي الذيل والتكملة السفر الأول تحقيق الدكتور محمد بنشريفة دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت

- محمد داوود تاريخ تطوان القسم الأول من المجلد الثاني الطبعة الثانية دار كريمايس تطوان المغرب بدون تاريخ.

- محمد المنوني المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى العصر الحديث منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط الجزء الأول.

- الناصري أحمد بن خالد، كتاب الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى الجزء السادس منشورات وزارة الثقافة والاتصال2001.

- الوزان الحسن بن محمد الزياتي الملقب ليون الإفريقي: وصف إفريقيا ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة والنشر الرباط 1980.

مجـــلات:

- عبد السلام شقور المسجد الأعظم بمدينة طنجة وخزانته العلمية مجلة دعوة الحق العددان 309-310 ذو القعدة-ذو الحجة 1415/أبريل-مايو 1995.

- عبد الصمد العشاب مائة سنة من تاريخ المنشآت الحبسية بطنجة نماذج من أحباس مدينة طنجة منذ القرن الثاني عشر الهجري. مجلة التاريخ العربي العدد 11 صيف 1999

ـ رشيد العفاقي "الأندلسيون في بلاد جبالة وبلاد الهبط" مجلة التاريخ العربي، العدد 58.

ـ محمد بن عبد الهادي المنوني، الخزائن العلمية بمدينة تارودانت وما إليها، مجلة دعوة الحق العدد 280 محرم الحرام- صفر الخير 1411/ غشت- شتنبر 1990.

ـ محمد المنوني، الكناشات المغربية مجلة المناهل، ج 2.

ـ محمد المنوني مجلة "البحث العلمي" تصدر عن المعهد الجامعي للبحث العلمي العلمي الرباط العدد 20-21 مزدوج.

ـ محمد ياسر الهلالي مجلة أمل نظرة المجتمع للمرأة في مغرب القرن 8 و9هـ/14 و15م مساهمة في تاريخ الذهنيات.

ـ وداد العيدوني حماية القاصرين في نظم الوقف بالمغرب والأندلس مجلة أوقاف عدد 13 نونبر 2007.

المراجع اللاتينية:

- Les Habous de Tanger volume xxII -Registre officiel d' actes et Document -Texte Arabe et traduction -Analyses et Extraits par Michaux-Bellaire . éditions Erneste Leroux Paris1914.

- Tanger et sa zone volume VII éditions Erneste Leroux Paris 1921.

- Auguste Moulieras le Maroc inconnu exploration du rif décembre 1895 Paris France.

- Contribution a l étude de la région du rif série étude N 14 Institut Royal de La Culture Amazighe.

- Ricardo Fernandez El désastre de Anoual pp8-9 éditorial Planeta 1985.

- Levis Provencal Histoire de L' Espagne Musulmane.BulletinHispanique Année 1948 Volume 50 Numéro 50-1 pp. 89-92

- Emil Amar Archives Marocaines vol 12/13 _ 1908_1909

- Inscriptions Arabes de Fes .ألفريد بيل "النقائش العربية بفاس Revue Asiatique pp224 –222 Paris1919 –1917 .

- Joseph Schacht Esquisse d'une Histoire du droit musulman 1953 Librairie Orientale et Américaine, 1953 .

. Hady Roger Idriss La berberie orientale sous les zirides 10_12 siécle Librairie

d'Amérique et d'Orient, Adrien-Maisonneuve, 1962.

. J .Berqu Les Nawaziles al muzaraa d'aprés le Miyar Al jaded

1938

فهرس المحتويات

الفصل الثالث

نساء طنجة خلال القرن الثامن عشر الميلادي ومساهماتهن في الوقف والتنمية والإعمار

الفصل الرابع

بيوتات طنجة خلال القرن الثامن عشر





9 789954 323724

الثمن : 45 درهما